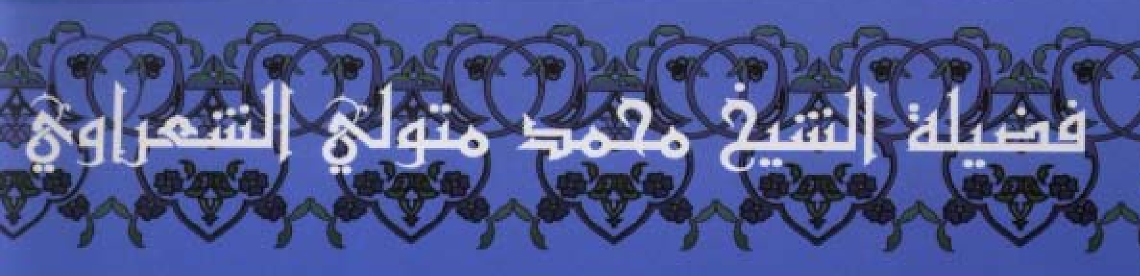
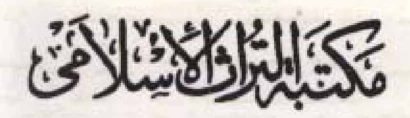


الإسراء والمعراج



دار الجيل

الشيخ الإمام داعية الإسلام
محمد متولي الشعراوي



دار الجيل
بيروت - لبنان

مكتبة التراث الإسلامي
القاهرة

تصدير :

ربنا الله سبحانه وتعالى :

لــه العبــادة .. وإليه الاتجــاه .. ومنــه الخشية .. وعليه الاعتماد ...

ربنا الله سبحانه وتعالى :

لا احتكام إلا إليه .. ولا سلطان إلا لشريعته .. ولا إهتداء إلا بهداه ..

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتـدي لولا أن هدانـا اللّـه سبحانه وتعالى .. والصلاة والسلام على أشرف الخلق ومبعـوث الحـق سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وأسأل اللّه عز وجل أن يهدي بهذا الكتاب وينفع .. وأن يجعلنا ممن رضي لهم قولاً وعملاً .. إن اللّه هو البر الرحيم ...

واللّه الموفق والمستعان ...

رياض

مقدمة :

نحمد اللّه سبحانه وتعالى أن هدانا لنعمة الاسلام . . دين الحنيفية السمحة . . والفطرة القويمة . . دين المساواة والعدل والاخاء . . دين الفكر السامي . . والأهداف السامية . . .

أما بعد :.

إن موضوع هذا الكتاب يدور حول أهم القضايا الاسلامية ويدور حول موقف المسلمين وغير المسلمين منها . . نطوف معاً خلال صفحات هذا الكتاب مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الداعية الاسلامي الجليل . . .

والشيخ الشعراوي في غنى عن التعريف به . . فقد أذهل المسلمين وغير المسلمين في كل مكان بدقة منطقه وإحكامه . . وسعة علمه وإدراكه . . وإحاطته الكاملة لقضايا الاسلام . . .

ولقد عرف فيه الناس الداعية الذي يدعو للاسلام باسلوب العصر من غير مشقة ولا تحذلق . . يواجه خصومه بالدليل والبرهان . . ويأخذ بالأسلوب العلمي عن عمق ودراية . . .

ولكم شد أذهان الناس وقلوبهم في احاديثه . . وفي هذا الكتاب يعرض علينا الشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي قضية هامة ألا وهي الاسراء والمعراج بقضاء اللّه سبحانه وتعالى وقدرته وحكمته في هذا الامر . . يعرضها بفكر واستدلالات منطقية واضحة ضمن أحاديث زاخرة . . .

ونسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يهدي بهذا الكتاب وينفع . . والسلام على سيد المرسلين . . والحمد للّه رب العالمين . . .

رياض

أحداث في تاريخ الاسلام :

بسم الله الرحمن الرحيم .. والحمد لله كما علمنا أن نحمد .. وأصلي وأسلم على خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ ...

وبعد :

ان حدث الاسراء والمعراج يعتبر حدثاً ضخماً من أحداث الدعوة الاسلامية .. سبقته البعثة .. وجاءت بعده الهجرة .. الاحداث الثلاثة التي تعرضت لها الدعوة الاسلامية ...

١ ـ حدث بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ...

٢ ـ حادث الاسراء ...

٣ ـ حادث الهجرة ..

ونحن نعرف ان رسول الله ﷺ بُعث على فترة من الرسل .. وبُعث بدين خاتم [1] .. وبدين جامع يشمل الزمان كله والمكان كله .. لأن الرسالات التي سبقته كانت محدودة الزمان .. ومحدودة المكان .. ولكن الرسالة الاسلامية جاءت عالمية للناس في كل زمان .. وفي كل مكان ...

---

١ ـ جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها .. لو علينا نزلت معشر اليهود لا تخذنا ذلك اليوم عيداً .. قال : فأي آية ..؟ .. قال : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم .. وأتممت عليكم نعمتي ... ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ .. فقال عمر رضي الله عنه : إني لا أعلم اليوم الذي نزلت فيه .. والمكان الذي نزلت فيه .. نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات .. في يوم جمعة ...

أخرجه : بخاري ومسلم والترمذي .

واختار الله سبحانه وتعالى لإنطلاق هذا الدين أول بيت وضع للناس . . ليكون هو المكان الذي تنبعث منه الدعوة الاسلامية . . وكما نعرف أن مكة قد أخذت على كل القرى في الجزيرة العربية مكان الصدارة . . ومكان السيادة . . وبالتالي فقد أخذ سكانها من قريش مكان «السيادة ـ والعزة ـ والجاه» . . وكانت هذه السيادة والعزة والجاه هي التي تجعل لقريش المهابة في الجزيرة العربية كلها . . لذلك أمنت رحلاتهم في الشتاء وفي الصيف [1] أن تتعرض لأي غارة من أي قبيلة من القبائل . . ولأن أي قبيلة من القبائل كانت عرضة أن تفد على مكة المكرمة في موسم الحج . . فهي إذاً لا بد أن تسالم القبيلة التي تسكن هذا البلد . . وأن ترعى تجارتها . . وألا تتعرض لها بسوء . . .

هذه هي السيادة التي أخذتها قريش قد جعلت كلمتها نافذة . .

---

١ ـ لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة خليله إبراهيم وهو يتوجه إليه عقب بناء البيت وتطهيره . . ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾ فجعل هذا البيت آمناً . . وجعله عتيقاً من سلطة المتسلطين وجبروت الجبارين . . وجعل من يأوي إليه آمناً والمخافة من حوله في كل مكان . . وكان لحادث الفيل أثر مضاعف في زيادة حرمة البيت عند العرب في جميع أنحاء الجزيرة . . وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش مما ساعدهم على أن يسيروا في الارض آمنين . . حيثما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية . . وقد شجعهم ذلك على إنشاء خطين عظيمين من خطوط التجارة ـ عن طريق القوافل ـ إلى اليمن في الجنوب . . وإلى الشام في الشمال . . وتنظيم رحلتين تجاريتين ضخمتين :

الأولى : إلى اليمن في الشتاء . . .

الثانية : إلى الشام في الصيف . . .

ومع ما كانت عليه حالة الأمن في شعاب الجزيرة من سوء وعلى ما كان شائعاً من غارات السلب والنهب . . فإن حرمة البيت في انحاء الجزيرة قد كفلت لجيرته الأمن والسلامة في هذه التجارة المغرية . . وجعلت لقريش بصفة خاصة ميزة ظاهرة . . ومن ثم فتحت أمامها أبواب الرزق الواسع والمكفول . . في أمان وسلام وطمأنينة . . وألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين الرابحتين . . فأصبحتا لهم عادة وإلفاً . . .

وسلطانها قاهر . . على الجزيرة كلها . . وشاء اللّه سبحانه وتعالى أن تكون الدعوة الاسلامية بداية منطلقها في مكة المكرمة . . حتى تكون الدعوة في إذن هؤلاء السادة الذين لهم الجاه . . ولهم العظمة . . ولهم السيطرة . . ولا يستطيع لأحد أن يقف أمام جاههم ونفوذهم وسيطرتهم . . فحين تجيء الدعوة الاسلامية من هذه المنطقة . . وحين تواجه الدعوة الاسلامية بهؤلاء القوم الذين لهم هذه المهابة المطلقة . . يكون اللّه سبحانه وتعالى قد اختار لدين الاسلام قمة الميادين لهذه الدعوة . .

وأما الرسول ﷺ حينما بُعث مرَّ بمراحل :

المرحلة الأولى : أن يقتنع هو بأنه رسول . . .

المرحلة الثانية : أن يقنع من حوله من عشيرته الأقربين . . .

المرحلة الثالثة : أن ينذر المحيط كله . . .

وقد هيأ اللّه سبحانه وتعالى له النجاح في هذه المراحل . . إلا أن اللّه سبحانه وتعالى هو خالق الاسباب . . وخالق المسببات . . فهو يجعل للأشياء أسباباً في عرف البشر تكون مقدمات لما يريدون من النتائج . . وهذه الأسباب كان اللّه سبحانه وتعالى في غنى عنها . . وكان من الممكن أن ينصر دينه بدون أن يجعل من اسباب البشر . . ولا من ماديات الحياة مقدمات . . ولكن الرسول ﷺ جاء اسوة لأمته مؤمنة . . والأمة المؤمنة كلها مطالبة بامتداد رسالته ﷺ . . فحتى يكون لكل مؤمن انقطع عنه وحي السماء بصر ﴿واجتهاد﴾ في أن يعد أسباب الأرض . . وأسباب المادة . . ليصل إلى منطلقه فيما يريده اللّه سبحانه وتعالى من تبليغ الدعوة والثبات عليها . . .

فالحق سبحانه وتعالى حينما أمر محمداً ﷺ أن يجهد بدعوته . .

مراحل الدعوة

عاداه القوم . . عداء بلا هوادة . . إلا أن هذا العداء لم يمنع تسرب هدى الايمان إلى نفوس كثير من الناس من عشيرته ﷺ الأقربين . . ومن قومه الذين يعلمون صدق فيما جاء به . . وانه لم يكذب عليهم حتى في امور بينهم . . فكيف يكذب على الله سبحانه وتعالى . . .

وكان سيدنا محمد ﷺ في حاجة مادية إلى أن يُحمى حمايتين :

الحماية الاولى : من الكفار في الخارج . . .

الحماية الثانية : في ساعة راحته وسكونه وهدوئه في البيت . .

كان أبو طالب [1] يحميه في الخارج من أذى الكفار . . وأذى المشركين . . وكان كفر أبي طالب سبباً من الاسباب التي جعلت الكفار يجاملونه بعض المجاملة . . والسبب الآخر كان قرابته من رسول الله ﷺ . .

وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها في البيت هي السكن الذي يلجأ إليه الرسول . . فتمسح بيدي الحنان . . وبيدي العطف . . وبيدي الرعاية . . وبيدي العناية على مناعية من حركة الحياة التي يحياها عليه الصلاة والسلام . .

فكأن الحق سبحانه وتعالى قد هيأ لحمايته صلى الله عليه وسلم ولنصرته ولمؤازرته مصدراً ايمانياً في البيت كان من خديجة . . ومصدراً

---

١ ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب . . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين توفي جده عبد المطلب ابن هاشم . . فتولاه عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به . . ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله . . أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . .

كان أبو طالب هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إليه ومعه . . وأبو طالب كان لا مال له . . إلا أنه كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديداً لا يحبه لولده . . فكان لا ينام إلا إلى جنبه . . ويخرج فيخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

كفرياً في الخارج كان من عمه أبي طالب . . .

فحين يكون هذان المصدران بجوار رسول الله ﷺ . . تكون في الخارج مكفولة الحماية بسبب عمه أبي طالب . . وفي الداخل مكفولة الامن والاطمئنان والاستقرار والهدوء بواسطة زوجته . . .

ولكن قدر الله سبحانه وتعالى شاء أن تتوفى زوجته خديجة بنت خويلد في العام الذي توفي فيه عمه أبي طالب . . .

وهنا يفقد رسول الله ﷺ السكن الذي كان يأوي إلى حنانه وعطفه . . كما فقد الحماية الخارجية . . ومع أن رسول الله ﷺ كان يعلم تماماً أن الله سبحانه وتعالى لا يسلمه . . إلا أنه مع ذلك أخذ يعمل فكره . . ويعمل بصيرته . . ويخطط لينطلق بالدعوة بالأسباب البشرية التي يقدر عليها . .

وما كان منه في هذا الجو الخانق في مكة إلا أن يلتمس منطلقاً للدعوة لعله يجد نصيراً خارجياً . . فقام برحلته إلى الطائف [1] . . ومعتقدا أنه سيجد النصير . .

ولكنه وجد خلاف ما اعتقد . . وحدث أن آذوه بالقول . . واذوه

---

١ - لما توفي أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن قد نالته منه في حياة عمه أبي طالب .. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .. « هي مدينة بالمملكة العربية السعودية على بعد ١٢٠ كم من مكة وهي من أقدم بلاد الحجاز » يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه .. ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله سبحانه وتعالى .. إلا أنه لقي من سفهاءهم أذى القول والفعل .. فلما ابتعد عنهم قال :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي .. وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين .. وأنت ربي .. إلى من تكلني .. إلى بعيد يتجهمني .. أم إلى عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. من أن تنزل بي غضبك .. أو تحل عليَّ سخطك .. لك العُتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بك ...

بالفعل . . واضطهدوه . . وسلطوا عليه سفهاءهم حتى أدموا عقبيه . . فوقف موقف الضارع إلى الله سبحانه وتعالى . . بعد أن فقد أسباب البشر . . .



الأسباب والتوكل

هنا نقف وقفة .. أن الانسان الذي يمده اللّه سبحانه وتعالى بالأسباب عليه أن يستعمل هذه الاسباب .. وأن يجتهد وسعه في أن يستخدمها في الوصول إلى أغراضه .. وحين يلجأ إلى اللّه سبحانه وتعالى ومعه الاسباب .. يرد اللّه سبحانه وتعالى رجاءه لأنه لا تزال معه الأسباب .. ولكن إذا ما اصبح مضطراً .. وقد أعيته الأسباب لم تعد في استطاعته البشر .. فوقف موقفه الضارع من اللّه سبحانه وتعالى .. وقال دعاءه الذي قال فيه :

﴿اللهم إليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي .. وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين .. وأنت ربي .. إلى من تكلني .. إلى بعيد يتجهمني .. أم إلى عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي .. ولكن عافيتك هي أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليَّ سخطك .. لك العُتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله﴾ ...

دعاء فيه كل مقومات الايمان واليقين .. لأنْ رسول الله ﷺ لا يخذله الله سبحانه وتعالى .. ودعاه أيضاً يشمل أنه قد استنفذ كل الاسباب .. وانه لم يجد إلا عدواً .. وإلا بعيداً .. فلا بد إذن أن تتدخل السماء ..

سمع الله سبحانه وتعالى ضراعة رسوله ﷺ .. وأرادت مشيئته

تعالى أن يبين له جفاء الارض . . ولكن لا يعني ذلك أن السماء قد تخلت عنه . . فاللّه سبحانه وتعالى سيعوضه عن جفاء الارض بحفاوة السماء . . وسيعوضه عن جفاء عالم الناس بعالم الملأ الأعلي . . وسيريه من آياته . . ومن قدرته . . ومن أسراره في كونه ما يعطيه طاقة وشحنة . . .

وإن اللّه سبحانه وتعالى الذي أراه هذه الآيات قادر على أن ينصره . . ولن يتخلى عنه . . لكن اللّه سبحانه وتعالى تركه للأسباب أولاً ليجتهد فيها حتي يكون أسوة لأمته في ألا يّدع الأسباب وترفع أيديها إلى السماء . . .

إذاً . . فقد كانت ليلة عظيمة الشأن . . وكان حدث الاسراء [1] . . وحدث المعراج [2] . . بعد الدعاء نتيجة لجفوة أهل الارض لرسول اللّه سبحانه وتعالى . . ونتيجة لفقد النصير . . ونتيجة لفقد الحامي . . فالله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل لرسوله صلى اللّه عليه وسلم هذه الرحلة العلوية حتى يثبت له تكريمه . . وحتى يثبت له أن في اللّه سبحانه وتعالى عوضاً عن كل فاقد . . وان الملكوت سيحتفي به حفاوة تمسح عنه كل عناء هذه المتاعب . . وسيعطيه شحنة قوية لتكون أداته في منطقة الجديد بإذن ربه سبحانه وتعالى . . .

---

١ ـ الاسراء : هي تلك الرحلة الارضية . . .

٢ ـ المعراج : هي لتلك الرحمه السماوية . . .

وقد حدثنا في ليلة واحدة قبل الهجرة بسنة واحدة . . ليمحص اللّه سبحانه وتعالى المؤمنين وليتبين منهم صادق الايمان . . ومن في قلبه منهم مرض أو ريبة . . .

حديث القرآن عن الاسراء

حدث الاسراء يتكلم عنه القرآن في استهلال السورة .. فيقول :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سُبحان الَّذي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَام إلى المَسْجِدِ الأقْصى الَّذي بَارَكْنا حَوْلَهُ لنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إنَّهُ هوَ السَّمِيعُ البَصيرُ [1] ...

صدق اللّه العظيم

---

١ ـ سورة الاسراء ـ الآية رقم ١ ...

روي أنه أتي بالبراق وهو دابة ابيض طويلٌ يقع حافره عند منتهى طرفه .. وكان مسرجاً ملجماً .. فاستصعب «وجده صعب الركوب» على الرسول (ص) حين أراد ركوبه .. فقال جبريل عليه السلام للبراق : ما يحملك على هذا ..؟!.. فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه .. فارفض البراق عرقاً .. وركبه رسول الله (ص) حتى أتى بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء بعد أن خرق جبريل الحجر بأصبعه وشد به البراق ..

رواه أحمد والترمذي وابن حبان اسناده صحيح .. راجع مسند احمد وصحيح ابن حبان بتحقيق احمد محمد شاكر ...

وقال البوصيري صاحب البردة :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
فبت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

هذا النص القرآني هو عمدتنا في توثيق هذا الحدث .. وحين يجيء النص القرآني بحدث .. فليس لنا إلا أن نؤمن به لأنه ورد من الله سبحانه وتعالى .. وليس لعقولنا [1] القاصرة أن تبحث البحث الجاري في قوانين الأرض .. وقوانين البشر لنحاول أن نفهم قوانين الله سبحانه وتعالى .. ولكن ما دام الله سبحانه وتعالى هو الذي قال : فالأمر الذي يجب على المؤمن هو أن يسلم به .. وبعد ذلك على عقله أن يبحث في قياسات هذا التسليم .. أو في مبررات هذا التسليم .. فيجد المبرر الأول للتسليم أنه آمن أولاً بالله سبحانه وتعالى ...

إن الانسان أول ما يدخل على الدين يؤمن إيمان القمة بربه .. بالله سبحانه وتعالى .. وبعد ذلك يتلقى عن الله سبحانه وتعالى ...

إذاً .. فتلقيه عن الله سبحانه وتعالى مشروط بأنه آمن بالله سبحانه وتعالى الذي يتلقى عنه .. فما عليه بعد ذلك إلا أن يوثق الكلام ﴿أصدر من الله أم لم يصدر﴾ .. وان فعلة ايمان المؤمن بأي حكم أو بأي حدث صادر من الله سبحانه وتعالى .. هو توثيق صدوره من الله سبحانه وتعالى .. وبعد أن يوثق صدوره من الله سبحانه وتعالى ما عليه إلا أن يؤمن به وبأنه حدث .. وبعذ ذلك لعقله أن يجول بطاقاته حتى يمكن أن يؤنس عقله بأن ذلك الحدث يكون لا محال ...

إن هذا الحدث استهله الله سبحانه وتعالى بكلمة .. قوله :

---

١ ـ يؤكد الدكتور «نورمان بريل» في كتابه «بزوغ العقل البشري» وهو حائز على دكتوراه في العلوم .. يقول : ان كافة العقول البشرية محدودة مهما كانت قدرتها على ان تعمل بهذه الطريقة أو بتلك .. أي أنها تؤمن بكثير من الامور ولكن لا تستطيع أن تتصورها لأنها أشياء فوق قدرة العقل ..

﴿سبحان﴾[1] .. ومعنى كلمة ﴿سبحان﴾ أول ما تقع على الذهن .. تعطي الانسان طاقة قوية تبعد عنه كل شبهة مقارنة والتي تأتي بين قانون المادة الأرضية الانسانية وبين قانون الله سبحانه وتعالى ...

وإن معنى ﴿سبحان الله﴾ إن الله سبحانه وتعالى منزه في ذاته وفي صفاته[2] وفي أفعاله .. فاذا صدر فعل .. قال الله سبحانه وتعالى أنه صدر منه .. إذاً .. فيجب أن أنزهه أنا عن قوانين البشرية .. وألا أخضع فعل الله سبحانه وتعالى إلى قانون فعلي ...

ولهذا .. فقد استهل الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿سبحان﴾ ..

حتى يكون أول ما يقرع الانسان لذلك الحدث العجيب الغريب الذي قد تقف فيه العقول ... و ﴿سبحان﴾ أي تنزيه .. فإذا قال الله سبحانه وتعالى ﴿سبحان﴾ .. معنى ذلك تنزيهه لفعله عن أفعال البشر .. وليتبين أن قانون الله سبحانه وتعالى ليس كقانون البشر في الفعل ...

---

١ ـ سبحان : أصل المادة مأخوذة من قوله تعالى .. وقولهم سبح في المادة أو الارض أي أبعد وتوغل .. ففي المادة معنى البعد .. والتنزيه فيه بعد عن النقائص وبعد عن صفات العجز ...

٢ ـ صفاته : صفات الله سبحانه وتعالى على الحقيقة هو موصوف بها .. والصفات ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر .. فهو سبحانه وتعالى سميع بصير على الحقيقة ليس كالأسماع والأبصار والايدي والوجوه .. وهي صفات ليست بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء .. وليس معنى اثباتها أنه محتاج إليها وأنه يفعل الاشياء بها .. ولكن معناها نفي اضدادها .. واثباتها في انفسها وانها قائمات به .. وصفات الله أربع : الصفات الذاتية : هي ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة وغيرها .. والصفات الجمالية : ما يتعلق باللطف والرحمة .. والصفات الجلالية : هي ما يتعلق بالقهر والعزة والعظمة والسعة ..

ثم بعد ذلك .. ﴿الذي أسرى﴾ [1] به .. فالله سبحانه وتعالى هو الذي أسرى .. ومحمد (صلى الله عليه وسلم) هو الذي أُسري به .. ولقد اختار الله سبحانه وتعالى لفظاً يعطي حيثية تلك التجربة ...

واللفظ هو ﴿بعبده﴾ [2] .. وبعد ذلك بداية الاسراء ﴿من المسجد الحرام﴾ ونهايته ﴿إلى المسجد الاقصى﴾ .. ثم قال العلة ﴿لنريه من آياتنا﴾ .. ثم بعد ذلك قال العلة الدافعة لكل هذا .. لماذا نريه من آياتنا ..؟.. ﴿إنه هو السميع البصير﴾ ..

سميع لماذا ..؟.. وبصير بماذا ..؟..

فقد كان من الممكن أن يقول على نسق أساليب البشر .. بعد أن يريه الآيات ..

---

١ - تبدأ السورة الكريمة بتسبيح الله تعالى .. إنها أليق حركة نفسية تتسق مع جو الاسراء اللطيف .. وإنها أليق صلة بين العبد والرب في ذلك الأفق الوضيء .. وظاهرة الآية القرآنية تثبت الاسراء في قوله : سبحان الذي أسرى بعبده ...

فالاسراء كان بالجسد والروح .. وذلك لأنه سبحانه وتعالى قال : أسرى بعبده .. والعبد هو الروح والجسد .. والاسراء من السرى السير ليلاً .. وهي تحمل معها زمانها ولا تحتاج لذكره ...

٢ - لقد أحس النبي ﷺ بالوحشة بعد وفاة الحبيبين .. خديجة العطوف .. وأبو طالب الشفيق .. فقال الله تعالى له بالفعل : أنس الله تعالى أكبر .. ورحمته أعظم .. وحياطته أكرم .. وإن عنايته بك وبرسالتك هي التي ستبلغك أمرك .. وتحقق لك شأوك .. وتصل بك إلى غايتك .. وهو المهيمن الرؤوف الرحيم .. لذلك كان الاسراء والله تعالى يضع الامور بموازينها وفي أوقاتها وأجلها المعلوم .. وقد ذكر الله تعالى صفة العبودية وذلك لتقريرها وتوكيدها في مقام الاسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر .. ولكي لاتنسى هذه الصفة .. ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية .. كما التبسنا في العقائد المسيحية بعد عيسى بن مريم عليه السلام بسبب ما لابس مولده ورفعه وبسبب الآيات التي أعطيت له .. فاتخذها بعضهم سبباً للخلط بين مقام العبودية ومقام الألوهية وبذلك تبقى للعقيدة الاسلامية بساطتها ونصاعتها وتنزيها عن كل شبهة أو شرك ...

- إن اللّه على كل شيء قــدير . . . !

- إن اللّه وهاب . . .

- إن اللّه كذا . . .

أما أن يأتي بقوله بأنه ﴿هو السميع البصير﴾ . . فهذا ليدلك على العلة الحقيقية . . والتي استوجبت أن يسري اللّه سبحانه وتعالى برسوله محمدﷺ . . فقد سمع اللّه سبحانه وتعالى دعاء رسوله بعد الايذاء الذي أوذي به رسول اللّـهﷺ . . وقـد رأى ما تعـرّض لرسولـه من الجفـاء والاستهزاء ومن السخرية ومن الاهانة . . كل ذلك بمرأى وسمع من اللّه سبحانه وتعالى فحين رأى اللّه سبحانه وتعالى ذلك وسمع . . أراد بمشيئته أن يريه الآيات . . فأسرى به . . .

▲ ▲ ▲

قانون الفاعل

إذا جئنا لنأخذ عنصر الفعل [1] من أي فاعل [2] .. فنجد أن عنصر الفعل في أي فاعل ملحوظ في ذات الفعل .. فإذا قيل مثلاً :

خَطبَ فلان .. فسنأخذ الخطبة بمعيار فاعلية الخطيب الذي نعرفه .. وخِطبُ فلان .. نأخذ الخطبة بمعيار هذا الخطيب ...

وإذ قيل :

حمل فلان أثقالاً .. نأخذ العملية الفعلية حمل أثقال ..؟ بقوة الذي حمل .. فإذا حمل ﴿إنسان عادي﴾ فيكون له قوة محددة ...

وإذا حمل ﴿بطل﴾ وله رقم قياسي فيكون له أيضاً قوة .

إذاً .. إن كل فعل من الافعال يجب أن يقارن بفاعله هو. . فلا نأخذ الفعل من فاعل .. ونعطي قانون غير الفاعل ...

كيف ..؟...

عدم فعل الفعل؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿سبحان الذي أسرى﴾ .. أي : إن الذي أسرى هو الله سبحانه وتعالى .. إذاً .. فالفعل واقع من الله سبحانه وتعالى .. فلا يصح أن نؤاخذ محمدﷺ بفعل فعله الله سبحانه وتعالى به ..

---

١ ـ الفعل كون الشيء مؤثراً في غيره .. كالقاطع ما دام قاطعاً .. ويطلق الفعل على المفعول المطلق ضربته ضرباً .. فإن الضرب هو الذي وقع من الفاعل وفي النحو كلمة دلت على حدث وزمنه ..

٢ ـ الفاعل ما أسند إليه الفعل أو شبهه على جهة قيامه به .. أي على جهة قيام الفعل بالفاعل ليخرج عنه مفعول ما لم يسم فاعل .. والفاعل المختار .. هو الذي يصح أن يصدر عنه الفعل مع قصد و إرادة .. ذهب زيد بخلاف ما ليس كذلك نحو مرض زيد أو نزل المطر .. وهو إسناد الفعل للفاعل الذي قام بالفعل ..

وما دام الله سبحانه وتعالى قد فعل [1] .. فلماذا نستعجب على محمد أن يقول ..؟؟...

محمد لم يقل : ﴿أنا سريت﴾ حتى نرد محمدﷺ إلى قانون .. ونقول له كما قال الكفار .. ﴿... نضرب إليها أكباد الابل شهراً .. وتدعي أنك أتيتها في ليلة ..؟...﴾..

من الذي قال أنه أتاها ليلة بقدرته وحده ..؟.. لم يأتها .. وانما أتي به .. وأنتم تقولون : ﴿نضرب إليها أكباد الابل﴾.. أنتم تضربون أكباد الابل .. فإذا كنتم صادقين في المقارنة .. والمفاضلة العقلية .. والتناقض العقلي عندكم .. وتريدون أن تستشكلوا علية .. كان يجب أن تقارنوا .. ﴿فعلاً منكم﴾ .. ﴿بفعل منه﴾ .. أما أن تقارنوا فعلاً منكم بشيء لم يدع هو به بأنه فعله .. فهذه استحالة في المناقشة .. إذاً .. كان من الممكن أن يصعدوا المسألة في القياس .. يصعدونها إلى الله سبحانه وتعالى .. ولا يقولون له : «كيف تدعي أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الابل في خلال شهر» .. لأن محمد صلى الله عليه وسلم قال : «أنا لم أسر .. وإنما أُسري بي» ..

إذاً .. إن محمدﷺ محمول على نطاق قوة أخرى جبارة لا حساب لها [2] ...

---

١ ـ إن الله سبحانه وتعالى هو الذي قد فعل أسرى بعبده .. وعبده هو علة الاقدام على الفعل نحو : أسريت به حباً له وتكريماً .. إذاً .. إنه فعل مطلق من الله سبحانه وتعالى وهو اسم ما صدر عن فاعل فعل مذكور بمعناه ..

٢ ـ إن الرسول (ص) قد أسري به وعرج .. كيف ..؟..

هل ركب الرسول (ص) آلة تسير بأقصى من سرعة الصوت كما أخترع في عصرنا هذا ..؟.. بالطبع لا ..!! ... إذاً كيف أسري به .. إن الرسول (ص) قد امتطى «البراق» وهو كائن يضع خطوه عند اقصى طرفه .. كأنه يمشي بسرعة الضوء ..

كيف .. أنا أقول لكم :

لقد صعدت بابني الرضيع قمة جبال هيما لايا .. أيقول مجنون لي : كيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبال هيما لايا ...؟.. لا يقول لي أحد هذا .. والذي يقول هذا .. لابد وأن يكون عقله مختلاً .. إنما يقول لي : كيف صعدت أنت .. والمسألة في الاسراء والمعراج لم يردوها إلى الله سبحانه وتعالى .. وإنما ردوها إلى محمد صلى الله عليه وسلم ..

إذاً .. فالفعل من الله سبحانه وتعالى .. وحين يوجد الفعل من الله سبحانه وتعالى .. يجب أن يُلغيٰ قانون البشر .. هنا قانون البشر غير موجود ..!! .. لماذا ..؟ .. لأن كل فعل يختلف باختلاف فاعله .. ويختلف بقوة ذلك الفاعل .. وهكذا ...

مثال :

إن الذي يسري من مكان ما إلى مكان آخر في سيارة عادية غير الذي

وكلمة «البراق» يشير اشتقاقها الى البرق .. أي أن قوة من الكهرباء قد سخرت في هذه الرحلة العجيبة والخارقة لقوانين البشر .. ولكن كيف تم ذلك والجسم في حالته المعتادة يتعذر عليه النقل في الآفاق بسرعة البرق الخاطف .. إذاً .. لأن أن يكون هناك إعداد خاص يحصن أجهزته ومسامه لهذا السفر البعيد .. ولتلك السرعة الخارقة .. وما أحسب أن ما روي عن شق صدره (ص) .. وغسل القلب وحشوة .. إنما هو رمز هذا الاعداد المحتوم .. وقصة الاسراء والمعراج مشحونة بهذه الرموز ..

والاسراء والمعراج وقعا للرسول الكريم (ص) بشخصه في طور بلغ الروح فيه قمة الاشراق وخفت فيه كثافة الجسد حتى تفضى من أغلب القوانين التي تحكمه في الارض ..

إن حقيقة هذه الرحلة الخارقة للقوانين البشرية .. وإن تتبع مراحلها بالوصف الدقيق مرتبط بادراك العقل الانساني لحقيقة المادة والروح .. ومرتبط بما أودع الله سبحانه وتعالى فيهما من قوى وخصائص .. ولقد اختلف العلماء من قديم .. أكان هذا السرّي الخارق بالروح وحده .. أم بالروح والجسد معاً .. وانتهى الاجماع على الرأي الاخير ...

يسري في طائرة أو في صاروخ . . ﴿ومن يدري قد يكون هناك آلة أسرع من الصاروخ﴾ . . .

إذاً . . لا بد أن ننسب الزمن إلىٰ قوة العمل . . فما دامت المسألة من الله سبحانه وتعالىٰ . . وهو الذي أسرىٰ . . وسيدنا محمد ﷺ مصاحب ومحمول قانون ضعفه البشري علىٰ قانون قوة ربه القائد . . فلا بد لنا أن نقيس المسافة وزمانها بنسبة القوة التي فعلت . .

وكما يقولون ·

ان المسافة تتناسب مع القوة تناسباً عكسياً . . فكلما ازدادت القوة قصرت المسافة . . والقوة التي فعلت هي قوة الله سبحانه وتعالىٰ . . فنجد عندئذ ان النتيجة . . لا زمن . . .

يأتي شخص ويقول لك :

ما دام ليس هناك زمن . . فلماذا أخذ ليله . . ؟ . . .

نقول له :

هناك فرق بين حدث الاسراء في ذاته كنقلة . . وبين مرائي تعرض لها الرسول ﷺ . . فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض لمرائي . . رأها هو ببشريته وبقانونه . . فالمرائي التي تعرض لها هي التي احتاجت للزمن . . أما النقلة في ذاتها فلم تحتاج الىٰ زمن . . لأنها محمولة على قانون من سيتحكم فيه الزمن . . إذاً . . فالجماعة الذين ناقشوا رسول الله ﷺ . . هم جماعة يعطون صورة من عقلهم في أنهم قارنوا مقارنة غير موضوعية . . .

سؤال :

لا زالت تطرح المقارنة بعد بشكل حديث ومعاصر . . وبعض الناس يقولون نفس هذا الكلام في عصرنا هذا . . والأسئلة لا بد لها من

جواب . . .

ـ كيف يذهب . . وكيف يعود . . وربما كان الاسراء بالروح فقط . . وربما كان بالجسد والروح معاً . . ؟ . .

جواب :

هنا نناقشهم . . نأتي فنقول :

ان المسألة ليست حدثاً من محمد ﷺ . . إذاً . . فاستبعدوا قوانين بشريتكم . . استبعدوا قانون أرضتيكم . . وصعدوا هذه المسألة بالنسبة لله عز وجل . . نقول :

١ ـ يقدر الله سبحانه وتعالىٰ على هذه المسألة أم لا يقدر . . ؟ . .

٢ ـ قوته سبحانه وتعالىٰ تحتاج الىٰ زمن . . أم لا تحتاج الىٰ زمن لهذه المسألة . . . ؟ . . .

ولكي تعرفوا أن الحق سبحانه وتعالىٰ قد هيئا لدين الاسلام جنوداً حتىٰ من الكافرين . . وذلك ليعاونوا محمد ﷺ علىٰ نصر دعوته . . كيف . . ؟ . . نقول :

لو لم يقف كفار قريش من رسول الله ﷺ موقفهم هذا ليقولوا له : ﴿أتدعي أنك أتيتها في ليلة . . ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً﴾ . . ربما قال قائل بعد ذلك ـ ﴿لقد ظنوه مناماً﴾ . . والمنام لا يمارىٰ فيه . . والحكم عليه لا يمارىٰ فيه أيضاً . . فاذا رأيت أني قد ذهبت الىٰ لندن هذه الليلة . . فلا يمكن أن يناقشني أحد . . لأن المسألة رؤية لا أكثر . . .

إذاً . . ان موقفهم هذا الذي وقفوه قديماً أمام رسول الله ﷺ ليقولوا له : ﴿أتدعي أنك اتيتها في ليلة . . ونحن نضرب إليها أكباد

الإبل شهراً﴾ . . هذا تأكيداً علىٰ أنهم أدركوا أنها لم تكن . . لا مناماً ولا روحاً . . بل كانت يقظة بروحه وبجسمه . . وإلا لما صدر هذا الاعتراض . . .

وبذلك يتبين لنا أن الكافرين بتعنتهم أمام رسول الله ﷺ قد خدمونا خدمة كبيرة تبينت لنا بعد ذلك . . . وهنا نقول : لو كانت رؤيا منامية لما ناقش فيها أحد . . لأن أي واحد يقص عليك رؤية . . يدل ذلك علىٰ أن قانون المرائي فوق قانون المادة واليقظة . . وبما انهم قد ناقشوا في هذه المسألة . . ووقفوا هذه الوقفة . . فهم إذا قد أدركوا أنها يقظة وبالجسم والروح معاً . . .

وان الذي يقول هذا الكلام يحاول أن يسنده بشيء . . فيبحث حتىٰ يجد نصاً قرآنياً وهو : قوله تعالىٰ : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس[1]﴾ . . وعندهم ان كلمة ﴿الرؤيا﴾ لا تأتي مصدراً إلا لرأي الحلمية ـ لرأي المنام . . لأن رأي البصرية يقول فيها : ﴿رأيت رؤية﴾ . . إنما إذا رأيت مناما تقول : ﴿رأيت رؤيا﴾ . . فنص القرآن ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ . . انها منامية . . .

ونحن نقول له :

إذا كانت رؤيا منامية . . فكيف تكون فتنة للناس . . ! ! . .

ومعنىٰ فتنة للناس[2] . . إن بعضهم يصدق . . وبعضهم يكذب . .

---

(١) ـ سورة الاسراء الآية ـ ٦٠ . . . . .

(٢) ـ ان الخوارق التي وقعت لرسول الله محمد ﷺ . . واولها خارقة الاسراء والمعراج . . لم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة . . انما جعلت فتنة للناس وابتلاء . . فقد ارتد بعض من كان قد آمن بالرسول ﷺ بعد حادثة الاسراء . . كما ثبت بعضهم وازداد يقيناً . . ومن ثم كانت الرؤيا التي أراها الله لعبده في تلك الليلة فكانت فتنة للناس وابتلاء . . وذلك ليتبين المؤمن من المرتد وليتبين الخير من الشر . . وليدرك المؤمنين اعداءهم . .

ولو كانت رؤيا منامية .. فلا يمكن أن يناقشها أحد .. لا تصديقاً ولا تكذيباً ...

ومن ثم لنتقدم إلىٰ اللغة قبل أن نعود إلىٰ الكلام .. نقول :

لا تأخذ بالشائع على ألسنة الناس .. انما خذ بالتحقيق اللغوي الموجود في القوانين .. عد إلىٰ اللسان الجاهلي قبل أن ينزل القرآن .. ستجد ان كلمة الرؤيا وردت أيضاً للبصرية .. فالراعي النميري اعرابي شاعر .. يقول في قصيدة له :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبَشرُ نفساً كان قبل يلومها

والمتنبي أيضاً .. وان كان ممن لا يستشهد بشعره [٢] .. إلا انه استئناس فقط ...

يقول :

ورؤياك في العينين أحلىٰ من الغمض

إذاً .. فقد استعملت كلمة «الرؤيا» بمعنىٰ «البصرية» وبمعنى «المنامية» .. ولكن عادة يستعملون كلمة «الرؤيا» في البصرية .. في الأشياء الغريبة العجيبة كأنها من الأشياء التي لا تحصل إلا مناماً .. كما تقول أنت : أنا رأيت ذلك في الحلم .. فإذا رأيت رؤية فهذه من العاديات .. انما إذا رأيت رؤيا .. وقد رأيت بصرية .. فمعنىٰ ذلك أنها أمر «عجيب» مما لا يمكن أن يدرك إلا في الأحلام .. فهي كأنها رؤية .. وإلا لو كانت منامية .. لما كانت فتنة للناس .. ولما اختلف الناس فيها .. فهل وجدتم قوماً قد اختلفوا مع واحد من الناس رأىٰ رؤيا منامية في أنه رأىٰ الرؤيا وبأي شكل رآها .. وبأي صورة .. وبأي

(١) ـ سورة الأعراف ـ الآية ـ ١٨٩ ...

سرعة .. وفي أي منظر .. ؟ .. أبداً .. لم يوجد شخص ناقش في هذه المسألة .. إذ ان الرؤيا منامية .. إذاً .. ما دام رؤيا الرسول ﷺ قد جعلت فتنة .. فهذا دليل علىٰ أنها لم تكن رؤيا منامية ...

ثـم نحـن نريد أن ننـاقش الـذين يقولـون هذا الـكلام مناقشـة لغوية .. كما يناقشونها لغوياً .. فنقول لهم :

كيف نستعمل كلمة ﴿جعل﴾ في اللغة .. ؟ ؟ ...

أنا أرىٰ في اللغة ان كلمة ﴿جعل﴾ هذه لو استعملت في شيء كان معدوماً فيوجد .. فتكون بمعنىٰ ﴿خلق﴾ قوله تعالىٰ : ﴿وجعـل منهـا زوجها[1]﴾ .. أي : وخلق منها زوجها .. كان معدومـاً فوجـد ..

لكن اذا استعملت ﴿جعل﴾ في شيء موجود تحول إلىٰ شيء .. فيكون عندي أمران اثنان :

١ ـ مجعول ...

٢ ـ مجعول منه ...

جعلت الطين إبريقاً .. جعلت الخشب مكتباً ...

إذاً .. كان هناك خشب قبل أن يكون هناك مكتب .. ثم حولته وجعلته مكتباً ...

إذاً .. فهنـاك فرق بـين ﴿جعـل﴾ التـي تتعــدىٰ إلىٰ مفعــول واحد ...

وهـذه إيجـاد من عدم .. وبـين ﴿جعــل﴾ التــي تتعــدىٰ إلىٰ مفعولين .. المجعول منه كان موجوداً .. ثم صار إلىٰ شيء آخر ..

مثال :

ربنا يقول لإبراهيم : ﴿قال إني جاعلك للنـاس إمـامـاً[2]﴾ ..

---

(١) ـ سورة البقرة ـ الآية ـ ١٢٤ ..

(٢) ـ سورة الفتح ـ الآية ـ ٢٧ ..

فانت إذاً موجود . . أما الإمامية فهي شيء آخر . . .

وقوله تعالىٰ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك . . ماذا جعلناها . . . ؟ . . فتنة . . ! ! . . وكيف تصير الرؤيا فتنة . . ؟ . . لا بد أن تنقلب هذه الرؤيا حقيقة . . إذاً . . لا مانع أن يكون رسول الله ﷺ قد رأى الاسراء «رؤيا» ثم رآه «يقظة» . . .

فقد حدث الله سبحانه وتعالىٰ في بعض سور القرآن بقوله تعالىٰ :

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . لتدخلن المسجد الحرام[2]﴾ . . .

رآه في الرؤيا . . ثم صار حقيقة وواقعاً[1] . . فما الذي يمنع أن يكون رسول الله ﷺ أنس الله سبحانه وتعالىٰ روحه . . فرأى مناماً هذه المشاهد . . وبعد ذلك رآها حقيقة . . كما رأىٰ أنه دخل المسجد الحرام رؤية وأصحابه محلقين ومقصرني . . وبعد ذلك رآها حقيقة . . ويكون بذلك قوله تعالىٰ ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ التي رأها رسول الله ﷺ في المنام إلا فتنة . . أي واقعاً يفتن الناس فيه . . فبعد أن كانت كذا . . صارت الى كذا . . .

إذاً . . فلا مانع أن يكون الرسول ﷺ قد تعرض لحدث

---

(١) ـ كان المشركون قد منعوا المؤمنين المسلمين منذ الهجرة من دخول مكة . . حتي في الاشهر الحرم التي كان يعظمها العرب كلهم في الجاهلية . . حتي كان في العام السادس للهجرة . . والذي أري فيه رسول الله ﷺ هذه الرؤيا المنامية . . فحدث بها أصحابه رضوان الله عليهم . . فاستبشروا بها وفرحوا . . وكانت البشرى . . بشري تصديق رؤيا رسول الله ﷺ ودخولهم المسجد الحرام آمنين . وتحليقهم وتقصيرهم بعد انتهاء شعائر الحج أو العمرة . . لا يخافون أحد . . فاما هذه فقد تحققت بعد عام واحد . . ثم تحققت بصورة اكبر وأجلى بعد عامين اثنين من الحديبية . . اذ تم لهم فتح مكة . . وغلبة دين الله سبحانه وتعالى عليها . . والله سبحانه

الاسراء أولاً مناماً . . ثم تعرض له روحاً . . ثم تعرض له يقظة . . وها هي السيدة عائشة تأتينا في ذلك فتقول : ﴿إنه ما رأى رؤية إلا جاءت كفلق الصبح﴾ فاذا كان قد رأى رؤيا . . فهي إذاً حقيقة لامراء فيها ولا جدل . . . بعد ذلك ننتقل الىٰ نقطة أخرىٰ . . فبعد أن تكلمنا عن أن الامكان العقلي موجود باسناد الفعل الىٰ الحق سبحانه وتعالى . . وابعاد سيدنا محمدﷺ عن مدار النقاش . . فيكون محمدﷺ . . ﴿مصاحب﴾ لا علاقة له بالفعل . . .

بعد ذلك نأتي بالحيثية . . ﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده﴾ . . لم يقل ﴿برسول﴾ أو ﴿بمحمد﴾ . . بل أتىٰ بصفة العبودية لله سبحانه وتعالىٰ . . التي هي باب العطاء من الله سبحانه وتعالىٰ . . لأن كل الديانات جاءت لكي تصحح عبوديتنا لله تعالىٰ . . وكل رسول من

العبودية

وتعالى يؤدب المؤمنين بأدب الايمان وهو يقول لهم : «لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله» فالدخول واقع محتم . . لأن الله سبحانه وتعالى أخبر به . . ولكن المشيئة يجب ان تظل في نفوس المسلمين في صورتها الطليقة لا يقيدها شيء . . حتى تستقر هذه الحقيقة في القلوب . . ونعود الى قصة تحقيق هذا الوعد . . فقد ذكرت الروايات انه لما كان ذو القعدة من سنة سبع اي العام التالي لصلح الحديبية . . خرج رسول اللهﷺ الى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية . . فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي . . كما أحرم وساق الهدي في العام الذي قبله . . وسار أصحابه يلبون . . فلما كانﷺ قريبا من مر الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيل والسلاح أمامه . . فلما رآه المشركون فزعوا فزعاً شديداً . وقد ظنوا ان رسول اللهﷺ يغزوهم . . وانه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين . . فذهبوا وأخبروا اهل مكة . . فلما جاء رسول اللهﷺ فنزل بمر الظهران حيث ينظر الى أنصاب الحرم . . بعث السلاح من «القسي والنبل والرماح» الى بطن ياجج . . وسار الى مكة بالسيوف مغمدة في قُربها كما شارطهم عليه . . فلما كان في أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص . . فقال : يا محمد . . ما عرفناك تنقض العهد . . فقالﷺ : وما ذاك ؟ قال : دخلت علينا بالسلاح والقيس والرماح . . فقالﷺ : لم يكن ذلك وقد بعثنا به الى ياجج فقال : بهذا عرفناك بالبر والوفاء . . ودخل رسول اللهﷺ وبين يديه أصحابه يلبون . . وصدقت الرؤيا . . وصدق رسول اللهﷺ . . وتحقق وعد الله سبحانه وتعالى . .

الرسل يريد أن يكون قدوة لنا . . ولا بد أن يكون قدوة في العبودية . . .

لنساءل :

العبودية لمن . . ؟ . . وما العبودية بحد ذاتها إلا كلمة مرة . . كلمة صعبة . . كلمة يمقتها الناس حقاً . . ولكن . . لماذا العبودية ممقوتة . . ؟ . . ان العبودية ممقوتة حينما تكون من خلق لخلق . . أن يكون الخلق عبداً لخلق . . لماذا . . ؟ . . لأن عبودية الخلق تعطي خير العبد لسيده . . يمتص خيره . . يأمره بأعمال قد لا يطيقها اطلاقاً . . . أما عبودية الخلق للحق سبحانه وتعالى فهي تعطي صورة عكسية تماماً . . تعطي خير السيد للعبد . . وخيرات لا حدود لها . . .

إذاً . . إن العبودية هنا شرف . . فكلما ازدادت العبودية . . كلما ازداد متن العطاء من الله سبحانه وتعالى . . تخلص من العبودية . . فيفيض عليك أكثر عطاءه سبحانه . . .

إذاً . . إن الحق سبحانه وتعالى حين قال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ . . أعطانا شبه الحيثية . . وكلمة ﴿بعبده﴾ أيضاً . . حتى يمكن الرد على الذين قالوا أنه أسري به الروح . . لأن كلمة ﴿العبد﴾ لا تطلق إلا على الروح والجسد . . هل يقال على الروح وحدها ﴿عبد﴾ لا يمكن ذلك . . ولا حتى على الجسد وحده . . وانما يطلق على ﴿النفس﴾ حينما يوجد فيها المادة والروح . . .

قوله تعالى :

﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ . . ابتدائية هنا . . ﴿في المسجد الحرام﴾ . . وبالطبع ان البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس . . ونحن نعرف قصته . . وقصة سيدنا إبراهيم . . وسيكون قبلتنا . وما دام أول بيت وضع للناس . . وهو منطلق

الدعوة .. ومحل الاقامة لرسول الله ﷺ .. إذاً .. الاسراء منه إلى أين ..؟.. ﴿إلى المسجد الاقصى﴾ أيضاً .. مشهد «مقدس» من مشاهد الله في الارض ...

سؤال :

هل كان المسجد الاقصى «بالمناسبة» مسجداً .. مع أنه لم يكن قد صلى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكن مسجداً بالمعنى المفهوم ..؟...

جواب :

ما معنى كلمة «مسجد» .. كلمة مسجد اسم مكان «لمكان السجود» .. وإن كلمة «السجود» جاءت في كل الرسالات .. وهناك فرق بين الشيء حينما يستعمل وصفاً اشتقاقياً .. وبين أن يستعمل علماً .. هي بقيت علماً عندنا على المكان الخاص به .. انما «المسجد» هو كل مكان يسجد فيه لله سبحانه وتعالى .. وهم اتخذوه أيضاً مسجداً لله .. سبحانه وتعالى .. والدليل أن الله سبحانه وتعالى قال لمريم :﴿... يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك .. واصطفاك على نساء العالمين .. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [1]... فكأن «السجود» موجود في كل الرسالات .. وأيضاً يقص سبحانه وتعالى علينا قصة أهل الكهف فيقول : ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ [2].. فكأن كلمة «المسجد» لم تأت مع الاسلام .. وانما شاع استعمالها في هذه الأماكن مع الاسلام .. وإلا .. فكل مكان يسجد لله سبحانه وتعالى فيه يكون «مسجداً» ...

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية ـ٤٢، ٤٣ ...

٢ ـ سورة الكهف ـ الآية ـ ٢١ ...

ونأتي لقوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾ . . قلنا ان المسجد الحرام هذا هو أول بيت وضع للناس . . ولكن يجب أن ندرك ذلك . . فإن بعض الناس تساءلوا : هل الذي بناه هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام . . ؟ . . ونقول لهم : . . لا . . هو موضوع للناس . . إذا ما دام هو موضوع للناس . . فيكون واضعه غير الناس . . وما دام وجد ناس . . وآدم عليه السلام من الناس . . فلا بد أن يكون هناك بيت لله سبحانه وتعالى . . ولا بد أن يكون هذا موضوع قبل سيدنا آدم عليه السلام كما قالوا لنا : إن أول بيت وضع للناس . وآدم من الناس . . وبنوه من الناس . . فيكون البيت قد وضع لهم . . وانما إبراهيم فقط رفع القواعدمنه . . رفع القواعد من البيت . .

وعلى كل حال يجب أن نعلم أولاً أن اسماعيل عليه السلام قد ساعد أباه إبراهيم عليه السلام في رفع قواعد البيت . . .

قوله تعالى :

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل . . ربنا تقبل منا﴾[1] . . .

إذاً . . لقد كان اسماعيل في حال يعين أباه على البناء . . لكن الحق سبحانه وتعالى يحكي لنا في سورة أخرى قوله تعالى :

﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . . ربنا ليقيموا الصلاة﴾[2] . . .

فساعة الاسكان كانت هاجر وابنها الرضيع . . ولم يكن عنده

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية ـ ١٢٧ . . .

٢ ـ سورة إبراهيم ـ الآية ـ ٣٧ . . .

هو . .

إذاً . . عند بيتك المحرم معلومة قبل أن يرفع ابراهيم عليه السلام القواعد من البيت . . فيكون البيت ليس من وضع إبراهيم عليه السلام . . ولا من تأسيس إبراهيم عليه السلام . . فالبيت وضع من قبل إبراهيم عليه السلام وإبراهيم عليه السلام هو الذي رفع القواعد فقط . . ولأن الله قد قال له : اذهب عند البيت المحرم . . ومعنى البيت المحرم أنه سيبنيه عندما يكبر اسماعيل . . فاذا كانت «العنديات» في المسجد الحرام معلومة قبل هذا فالقول محتوم لا مفر منه . . .

قوله تعالى : ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى﴾ . . يأتي شخص ليسأل : لماذا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى . . . نقول : لأن الكعبة كانت قد انطمرت كبيت من بيوت الله سبحانه وتعالى . . ولم يعد لها هذا المظهر . . وسميت بعد ذلك بيت العرب . . وشحنت بالأصنام . . هذا شيء . . .

وأما بيت المقدس فله قدسية مع موسى وعيسى . . وأنبياء بني إسرائيل . . ورسول الله ﷺ لم يُبعث لقومه فقط . . أي : لم يخص العرب فقط كما يريدون هم أن يقولوا . . لا . . إن محمد ﷺ قد جاء عالمياً . . فاسراؤه من مكة إلى بيت المقدس . . كأنه أُدخل بيت المقدس في مقدسات دينه . . وهذه العملية توضح بأن دينه مهيمن على كل البقع . . وكل مقدسات البقع . . وكذلك أيضاً اتجهنا إليه أولاً : فلا يأتي واحد ويقول : أنتم لكم دينكم . . ونحن لنا ديننا . . لا . . من الصحيح أن ديننا قد جاء في مكة . . ولكنه مهيمن على سائر الكتب . . ورسولنا ﷺ مهيمن على مقدساتنا . . وهذه المقدسات داخلة أيضاً في مقدساتنا . . وأصبح بيت المقدس في مقدساتنا لأنه صار منتهى مسرى

نأتي هنا ونقول :

إن حادثة الاسراء . . حادثة «أرضية» ومعني أرضية :

أولاً : انه كان هناك أناس في بيت المقدس . . .

ثانياً : وأناس ذهبوا إلى بيت المقدس . . .

ثالثاً : وأناس رأوا بيت المقدس . . .

رابعاً : وأناس يعرفون الطريق إلى بيت المقدس . . .

وهكذا بقيت المسألة هي الاعجاز في اختصار الزمن . . ولكن من الممكن ان يقام الدليل المادي للناس على صدقه في هذا . . حين قالوا له :

- صف المسجد . . ؟ . . فوصف المسجد[1] . . ! . . .

---

١ - روي أنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانيء بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته . . وقص القصة على أم هانيء وقال : ﴿مثل لي النبيون فصليت بهم﴾ . . ثم قام ليخرج إلى المسجد . . فتشبثت أم هانيء بثوبه . . فقال : ﴿مالك . . ؟ . .﴾ قالت : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم . . قال : «وإن كذبوني» . . فخرج فجلس إليه أبو جهل . . فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الاسراء . . فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب ابن لؤي . . هلم . . فحدثهم : فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً . . وارتد ناس ممن كان آمن به . . وسعى رجال إلى أبي بكر . . رضي الله عنه . . فقال : أوقال ذلك . . ؟ . . قالوا : نعم . . قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق . . قالوا : فتصدقه في أن يأتي في الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح . . ؟ . . قال : نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك . . أصدقه بخبر السماء . . ! . . فسمي الصديق . . وكان منهم من سافر الى بيت المقدس فطلبوا إليه وصف المسجد . . فجلى له . . فطفق ينظر إليه وينعته لهم . . فقالوا : أما النعت فقد أصاب . . فقالوا : أخبرنا عن بعيرنا . . ؟ . . فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها . . وقال : تُقدِم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق . . فخرج الجميع يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية لمراقبة مقدم العير . . فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد شرقت . . فقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق . . كما قال محمد ﷺ . . كما قال محمد . . ثم لم يؤمنوا . . وثار حول ذلك جدل كثير ولا يزال إلى اليوم يثور . . .

إن طلبهم لوصف المسجد من رسول الله ﷺ .. هو شهادة منهم بأنهم يعلمون جيداً بأنه ﷺ لم يذهب إلى هناك في رحلاته .. ولو كانت عندهم شبهة في أنه قد ذهب .. لما سألوه أي سؤال : فمعنى طلبهم وصف المسجد أنهم متأكدون من عدم ذهابه إليه قبل ذلك .. فوصف لهم المسجد .. والذين يسمعونه قوم رأوا المسجد .. فقد وجدوا ان الوصف مطابقاً لما قال ..

بعد ذلك .. يأتي أحدهم ليقول : ربما كان هناك إنسان «حاذق» قد وصف المسجد لرسول الله ﷺ .. ورسول الله نقل وصف المسجد عنه ..!... ولكني أقول : لا .. وذلك لأن الامر المادي ارتبط بتوقيت زمني يستحيل فيه أن يكون ذلك .. كيف ..؟.. إن الطريق الذي يعود منه رسول الله ﷺ إلى مكة .. حدثت فيه أحداث .. والاحداث رآها رسول الله ﷺ .. وحدث بها للقوم .. رأى جماعة ومعهم جمل وصفه كذا .. وتحدث لهم عن كذا وكذا .. وحين يقبلون عليكم اليوم أسألوهم عما حدث ...

إذاً .. لقد وصف أشياء رآها في طريق العودة .. وبعد أيام يتربص القوم القوافل التي ستحضر .. فيجدون كما قال رسول الله ﷺ في الطريق .. إذاً .. من الممكن أن يقام الدليل المادي الذي يقنع العقل على أن رسول الله ﷺ قد ذهب إلى بيت المقدس ...

وبذلك فقد أقام عليه الصلوات وأفضل التسليم .. أقام الدليل في المكان فوصفه .. وفي الطريق فتكلم عن أمارات فيه لم توجد إلا في الوقت الذي مرَّ فيه .. وما هذا إلا دليل على أنه صادق فيما قال .. وما دام صادقاً فيما قال .. فما هي إذاً مسألة الزمن هذه ..؟.. إن الله سبحانه وتعالى قد خرق له قانون الزمن .. فإذا اقتنعنا بأن الله سبحانه

وتعالى قد خرق له القانون الزمني بالاستدلال عليه بالأدلة المادية التي نعرفها .. ثم حدث بعد ذلك قائلاً : أنه خرق لي القانون .. فصعدت إلى السماء فيكون ايماناً بما كان تحت أيدينا من الحجج التي نعرفها .. يجعلها وسيلة إلى أن نصدق ونقول :

... الذي خرق له قانون المسافة فيما نعلم .. قادر على أن يخرق له قانون العلو فيما لا نعلم ...

وحينئذ يكون الاسراء كمقدمة ايناسية للعقل البشري .. يصدق الرسول ﷺ في أخباره عن المعراج .. لأن المسألة سننتهي منها ... إن الله سبحانه وتعالى قد خرق له قانون الزمن .. وقانون المسافة .. وهو الفاعل .. وهو الحامل بقوته .. فيكون الذي فعل له ذلك فيما نعلم بالاستدلال من الوصف ومن الطريق .. قادر على أن يخرق له قانون السماء وقانون الجو .. وقانون كذا .. وقانون كذا .. فكأن حدث الإسراء كان مقدمة لتؤنس العقل بقبول حديث المعراج ...

هنا نقف وقفة .. إن القرآن حينما تعرض لحديث الاسراء .. تعرض له صراحة .. وحينما جاء لحدث المعراج .. تعرض له كما يقولون التزاماً .. لأنه سبحانه وتعالى لم يقل .: سبحان الذي عرج به من بيت المقدس إلى «مثلاً» سدرة المنتهى .. لم يقل هذا .. انما قال لنا أشياء تستلزم أنه صعد ..

حديث القرآن عن الإسراء
وحديث القرآن عن المعراج

قوله تعالى :

وَالنَّجم إذَا هَوَى .. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى .. وَمَا يَنطِقُ عنِ الهَوَى .. إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى .. عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى .. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى .. وَهُوَ بالأُفُقِ الأعلَى .. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى .. فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أو أدنَى .. فَأوحَى إلى عَبدِهِ ما أوحَى .. مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأَى ..

أفتمارونه على ما يرى .. ولقد رآه نزلة أخرى .. عند سدرة المنتهى .. عندها جنة المأوى .. إذ يغشى السدرة ما يغشى .. ما زاغ البصر وما طغى .. لقد رأى من آيات ربه الكبرى [1]...

إذاً .. سدرة المنتهى .. والوقوف عندها .. يجب أن نعلم أن رسول الله ﷺ .. صعد .. لكن لماذا لم يأت بها نصاً ..؟.. قالوا : إن هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه .. الأمر الذي أمكن رسول الله ﷺ أن يقيم الدليل المادي لسكان الارض .. وقد أتى به صراحة حتى لا نعذر في تبليغه ...

أما الأمر الذي قد تقف فيه العقول بعض الشيء [2] .. فقد تركه سبحانه وتعالى لمدى يقينك الايماني أو مدى تسليمك بالمقدمة التي تلي النتيجة الأخرى .. لأنك أنت ما دمت مؤمناً .. فستقول : «مادام صنع به كذا فيما أعلم .. إذاً .. هو يصنع به كذا فيما لا أعلم» .. لأنه حين يكون قد طرق له القانون .. يكون قد خرق له القانون .. فما المانع إذاً ما دامت صيغة القانون .. هي - هي .. أيكون قانون السماء صعب على الله سبحانه وتعالى وقوانين الارض ليست صعبة على الله سبحانه وتعالى .. ما دام غير القوانين .. وغير النواميس ..؟.. وهل المعجزات التي أمد الله سبحانه وتعالى رسله عليهم الصلاة والسلام إلا

قانون المعراج

---

١ - سورة النجم - الآية -١ -١٨ ...

٢ - إن العقول قد تقف في بعض الاشياء لاثباتها بالمنطق أو المادة والذي لا يكون جدال بعده على الاطلاق .. فالايمان موجود .. ولكن ليطمئن القلب فقط حول أي مسألة قد يقف فيها العقل قليلاً .. مثال على ذلك قول سيدنا إبراهيم عليه السلام .. وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى .. قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .. الآية -٢٦- سورة البقرة .. لقد سأل إبراهيم عليه السلام ربه في هذا الشأن ومع ذلك لم يغضب الله سبحانه وتعالى عليه ولم يحرمه صفوة نبوته بل رد عليه رداً جميلاً ...

خرق لنواميس الكون .. وخرق لقوانينه .. وخرق لحقائقه الثابتة .. وما دامت هي خرق .. إذاً .. فلا يستبعد أن تحدث لرسول الله ﷺ .. وإلا ..!!...

فمثلاً :

ان الفلاسفة حينما قالوا : صحيح أنا مؤمن بأن هناك رب خالق لهذا الكون .. ولكني أقول : أن الله خلق الكون .. وخلق حقائقه .. وترك الحقائق تعمل عملها .. فالنواميس هي التي تعمل .. هذا معناه أن الله سبحانه وتعالى باشر سلطانه في ملكه مرة واحدة .. خلق القوانين في كثير من الاشياء .. وأن يشذ الناموس في كثير من الاشياء ..

لنعلم أن فوق القانون .. خالق القانون الذي يستطيع أن يجعل القانون يعطي .. ويستطيع أن يجعل القانون لا يعطي .. فجاءت المعجزات .. كل المعجزات التي حدثت للرسل خرق للنواميس .. وإلا فالناموس في المياه السيولة والاستطراق ...

ليست هناك مياه تقف هكذا .. ومياه تقف هكذا ..!!..

ولا يضرب موسى عليه السلام البحر فتغرق هذا .. وذاك كالطود العظيم .. فهذا خرق للناموس[1] ...

والنار من طبيعتها أنها تحرق .. ويُلقي إبراهيم في النار .. والقاء إبراهيم عليه السلام في النار ليس المقصود منه نجاة إبراهيم منها .. وإلا

---

١ ـ بعد أن سار موسى ببنو اسرائيل وصلوا إلى البحر ... وكان العدو من وراءهم والبحر من أمامهم .. وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فضربه .. فانجابت دياجير الظلام وانحسرت طاغيات اليأس وانفلق البحر ويسير بعد ذلك القوم آمنين .. وقد قام الماء على جانبي الطريق كالطود«الجبل» العظيم حتى عبروا سالمين في رعاية الله سبحانه وتعالى .. = لقد انحسر .

لو كان المقصود نجاة إبراهيم عليه السلام .. لما مكن الله سبحانه وتعالى الكفار من القبض عليه .. أو كان قد أرسل سحابة مثلاً تغيم وتطفىء النار .. ولكن المراد ان إبراهيم يُطرح في النار .. وتظل النار ناراً .. إلا ان ناموس الاحراق يتعطل فيها .. وإلا فلو انطفأت النار بالمطر .. لقال الكفار ان لم يكن هذا المطر قد جاء .. لكنا قد أحرقناه .. لا - فقد أمسكوا به وقيدوه .. ورموا به في النار .. والنار تظل ناراً .. ومع ذلك لا تحرق .. هذا هو خرق الناموس[1] ...

مادا! الحق هو خارق الناموس .. ويخرق الناموس متى شاء .. فيكون الذي آمن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسري به من مكة إلى بيت المقدس .. واستطاع أن يقيم الدليل المادي الأرضي واجب عليه الايمان بالمعراج دون دليل مادي .. وإلا .. ففي المعراج ما يؤكد ..

= الماء عن أرض خليج السويس واجتمع كتلاً كالجبال من الماء المتجمد .. وكل فريق يرى اخوانه خلال الماء الشفاف المتجمد حتى وصلوا سيناء .. وقد انغلق البحر إلى اثنا عشر طريقاً لاثنى عشر سبطاً .. والسبط هو الفريق من اليهود .. ولما دخل فرعون وجنوده مسالك الطرق غمرهم الماء كما كان فغرقوا ..

١ - عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار : لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك .. لا شريك لك .. ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل عليه السلام فقال : ياإبراهيم ألك حاجة .. ؟ ... فقال : أما إليك فلا .. قال جبريل : فأسأل ربك ... فقال إبراهيم : حسبي الله من سؤالي علمه بحالي ...

لقد سجن إبراهيم عليه السلام شهراً مدة جمع الحطب .. ومكث في النار سبعة أيام يقول : ماكنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار .. ألقي في هذه النار المستعرة .. وقلبه بالايمان مفعم .. وثقته بالله سبحانه وتعالى شديدة .. وصلته به وثيقة .. وأمله في النجاة وطيد .. لذلك لم تزعزه النكبات .. ولم تزلزله الحوادث .. ولم ترعبه النار .. بل أقبل عليها بنفس مطمئنة وصدر رحب .. انه الآن في جوف النار .. يخفيه دخانها .. ويحتويه لهيبها .. وهاهي النار ماذا فعلت بابراهيم عليه السلام .. لقد أذهب الله عنه حدتها .. وانقذه من سعيرها .. وجعلها عليه برداً وسلاماً ...

من الذي صعد إلى السماء ليعطي اماراتها . . .

هل سيقولون له :

صف لنا سدرة المنتهى . . ؟ . . وصف لنا الطريق إليها . . ؟ . . هم لا يعرفون شيئاً عن سدرة المنتهى . . ولا يعرفون وصف الطريق إليها . . والحق سبحانه وتعالى رحمة بنا جعل النص على ﴿الاسراء﴾ الذي يقام عليه الدليل المادي . . ﴿لأنه أرضي﴾ بالنص الصريح . . وجعل ﴿المعراج﴾ بالالتزام ﴿لأنه سماوي﴾ . .

لذلك قال العلماء : ان الذي يكذب ﴿الاسراء﴾ يكون كافراً . . لأنه صادم النص . . والذي يكذب ﴿المعراج﴾ لا يكون كافراً فحسب بل فاسقاً . . لأن الاسراء بالنص الصريح . . والمعراج بدلالة الالتزام . . .

▲ ▲ ▲

الاسراء دليل على وقوع المعراج

سؤال :

فضيلة الشيخ : من هذه الموضوعات أن الآيات التي تتناول قضية ﴿الاسراءوالمعراج في القرآن﴾ .. بعضها يتحدث عن ﴿ .. لنريه من آياتنا﴾ .. ثم في موضع آخر وهو في الحديث عن المعراج .. يقول القرآن ﴿لقد رأى﴾ إذاً .. فمرة فيه إراءة من الله سبحانه وتعالى .. ومرة هو رأى بنفسه .. فهذه مسألة تحتاج إلى جواب مقنع .. كذلك المرائي نفسها .. نحن نعرف مثلاً الموقف الذي خير فيه رسول الله ﷺ بين اللبن والخمر[1] .. والمشهد الذي يبين ثواب المجاهدين .. والمشهد الذي يبرز نتيجة آكل أموال اليتامى .. والمشهد الذي يبين عاقبة الربا والمرائي التي عبرت عن هذه الأوضاع والامراض الاجتماعية والخلقية في المجتمع .. كل هذه مسائل نحتاج إلى الحديث عنها .. فضلاً عن صلاة رسول الله ﷺ إماماً بالأنبياء والمرسلين .. ما معناها .. ؟ .. ومادلالتها .. ؟ .. ثم هناك موضوع آخر خطير .. وهومسألة أن أكثر الأنبياء الذي مرّ عليهم الرسول ﷺ في المعراج هم من أنبياء بني إسرائيل .. ومسألة تردد رسول الله ﷺ بين ربه وبين موسى عليه السلام وما تصوره البعض ﴿رغم صحة الحديث﴾ من أن هذا قد يوحي بنوع من وصاية سيدنا موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ ..

---

١ ـ ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد فصلى فيه ركعتين وخرج بعدها فجاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن .. فاختار اللبن .. فقال : جبريل : هُديت الفطرة .. ولو أخذت الخمر .. غوت أمتك ...

هذه بعض الخواطر ربما مرت سراً في أذهان بعض الناس . . ولم رددوها بصوتٍ عالٍ . . لهذا نحرص على طرحها . . ونبدأ بالموضوع الأول . . موضوع الاراءة أو الرؤية - أي رأى ونريه . . . ويتحدث فضيلة الشيخ الشعراوي قائلاً :

الحمد لله على نعمة الايمان به . . وشرف الاسلام له . . وأصلي واسلم على سيدنا محمد النبي الخاتم الرحمة . .

وبعد :

لقد انتهينا في موضوعنا السابق في هدا الكتاب إلى حدث ﴿الاسراء﴾ . . وكيف عرضه الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مستهلاً له بكلمة ﴿سبحان﴾ . . وأعطينا الاشارة التي توصي بها هذه هذه البداية في أن ﴿سبحان﴾ معناها التنزيه . . ومعنى التنزيه الارتفاع بذات الحق عن ذوات المخلوقين . . والارتفاع بفعل الحق عن مشابهته لفعل المخلوقين . . والارتفاع بصفات الحق عن مشابهته لصفات المخلوقين . . وإذا كنا نأخذ فعل الله سبحانه وتعالى من هذه الزاوية وهي زاوية التنزيه . . فيجب أن ننسب الفعل الذي نسب الله سبحانه وتعالى نفسه إليه . . .

ولقد قلنا ان كل فعل من الأفعال يجب أن يؤخذ بقانون وقوة فاعله . . فقوة الفاعل هي التي تصور لنا قدرته على الفعل من عدم قدرته . . وقلنا ان الله سبحانه وتعالى نسب الاسراء إلى نفسه . . ولم ينسبه إلى رسوله . . فقال : ﴿سبحان الذي أسرى﴾ الآية . . أي : أسرى هو بعبده . . إذاً - ان قانون محمدﷺ . . وبشرية محمدﷺ هي ملغية في الفعل . . وفي الحدث . . ولقد قلنا أن رسول الله ﷺ محمول على قانون خالقه وهو الحق سبحانه وتعالى . . فاذا كان أمر الفعل من الله

سبحانه وتعالى . . فلا يجب أن نعترض على الفعل بقانون البشرية . . بل يجب أن نرد الفعل إلى قانون فاعله . . ومادام الفاعل هو الله سبحانه وتعالى . . فلا تحكم للزمان فيه . . ولا تحكم للمسألة فيه . . ولا تحكم لشيء من ذلك حسب قانون البشرية . . ومحمد ﷺ كان محمولاً على قانون الحق سبحانه وتعالى أو مصاحباً . . ولقد قلت وأعطيت مثلاً : بأنني إذا قلت : لقد صعدت أنا وابني الرضيع قمة جبال هملايا . . فلا يمكن لعاقل أن يقول : . . وكيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبال هملايا . . ؟ . . لأنني لم أقل : صعد ابني الرضيع . . وانما قلت : صعدت أنا بابني الرضيع . . .

إذا . . فالقانون قانوني . . وليس قانون ولدي . . ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى . . الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده . . إذاً . . ان قانون محمدﷺ وبشريته وارتباطه بالزمن والمسافة لا دخل له في شيء من ذلك . . .

وقلنا أيضاً أننا إذا نظرنا إلى القوة في العقل وإلى المسافة والزمن . . نجد أن الزمن يتناسب مع القوة تناسباً عكسياً . . بمعنى ان القوة إذا زادت قلّ الزمن . .

مثال :

إذا قطعت المسافة من مكان إلى مكان على بعير . . تختلف عنها إذا قطعتها في سيارة أو في طيارة أو في صاروخ . . .

إذاً . . ان زادت القوة قلّ الزمن . . فمادام الحدث بقوة الله سبحانه وتعالى فيجب أن ننسب الزمن إلى قوة الذي فعل وهو الله سبحانه وتعالى . . وإذا نسبت الزمن إلى قوة الذي فعل وهو الله سبحانه وتعالى تجد ان المسألة لا تحتاج إلى الزمن . . إذاً . . لماذا أخذ رسول الله ﷺ

ليلة . . ؟ . . قلنا : لأن هناك فرقاً بين نقلة المسافة وبين مرائي رآهـا رسول الله ﷺ . . فاذا رأى منظراً من المناظر . . فان رؤيته لذلك المنظر هو الذي يحتاج إلى زمن . . إذا تكلم مع أحـد . . فكلامـه مع هذا المتكلم معه يحتاج إلى زمن . . إذاً . . ان الزمن وهو الليلة كان للرؤية التي رآها رسـول الله ﷺ . . وقلنـا أيضـاً . . ان ﴿الاسراء﴾ جاء آية أرضية . . ومعنـى أرضية . . ان البشر يعلمـون بيت المقـدس . . ويعلمون المسجد الحرام . . ومنهم من ذهب إلى بيت المقدس . . ومنهم من يعرف الطريق إليه . . وقلنا ان الحق سبحانه وتعالى قد ترك للدليل العقلي المادي في عرف البشر ما يمكن أن يكون مؤيداً لوجهة نظر الرسول ﷺ فيما قال : فاذا قالوا : صف لنا المسجـد . . ؟ . . وصف كما رآه الناس . . وقلت انهم بطلبهم وصف المسجد من رسـول الله ﷺ دليل منهم على أنهم يدركون بأن رسول الله ﷺ لم يرَ المسجد اطلاقاً . . فلو كانوا يشكون في أنه رآه ما سألوه وصفه . . إذاً . . هم على قناعة تامة بأن رسول الله ﷺ لم يذهب إلى المسجد الأقصى . . ومع ذلك أرادوا منه أن يصف لهم . . وقلنا : ربما كان رسول الله ﷺ قد سمع الوصف من خبير بالوصف . . والتقط منه الرسول ذلك الوصف ثم نقله إليهم . . فلابد من وجود دليل آخر زمني لا يوجد فيه ذلك . . ومن ثم ذكرنا الأدلة التي رآها في الطريق أثناء دعوته . . وأخبرهم بها . . ساعة أن كانت القافلة في طريقها إلى مكة . . إذاً . . ليس من المعقول أن يأتي واحـد ليخبـر الرسول ﷺ بما كان في الطريق . . فأخبرهم . . فترصدوا القافلـة . .

ووجدوا الأمـر كما قال الرسـول عليه الصـلاة والسـلام . . إذاً . . ان ﴿الاسراء﴾ آية أرضية أمكن أن يقام الدليل عليها . . وإذا ما أمكن إقامة الدليل المادي المرئي بواسطـة البشر عليهـا . . فهمـت العقـول أولاً ان

المسافة قد اختصرت لرسول الله ﷺ . . وان قانون الزمن قد ألغي عنده . . إذاً . . فقد خرق له الناموس . . فاذا ادركنا ان الناموس قد خُرق له في أمر عادي نعلمه ونستدل عليه بعقولنا . . فاذا حدث رسول الله ﷺ بعد ذلك أن قانون السماء قد خُرق له فاخترقه . . فمن الممكن للعقل أن يستأنس بأن الذي خرق له الناموس فيما نعلم - وفيما استدللنا عليه قادر ﴿على أن يخرق له الناموس فيما لا نعلم﴾ . . .

إذاً . . ان آية ﴿الاسراء﴾ كانت إيناساً لعملية الايمان ﴿بالمعراج﴾ فالله سبحانه وتعالى الذي خرق القانون لمحمد ﷺ في المسافة والزمن . . خرق له القانون في ﴿المعراج﴾ للسموات السبع ولما لم يكن أحد قد صعد إلى سدرة المنتهى . . ولما لم يكن أيضاً في الطريق إلى سدرة المنتهى قافلة ما . . فلا يمكن أبداً أن يقام الدليل من المخلوقين الذين يسمعون ذلك إلا بصفة أمر حسي له . . وهو ﴿الاسراء﴾ . . ولذلك كانت آية ﴿الاسراء﴾ ايناساً للعقول بامكانية الايمان بما يحدث به الرسول الكريم ﷺ لأنه انتقل إلى السماء بقانونه . . لا بقانون الذي نقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ذلك الزمن الوجيز باقراركم . . وقد وصف المسجد ووصف ما في الطريق من بيت المقدس إلى مكة . . كل هذا يؤنسنا بأن الرسول ﷺ حين يحدثنا عن ﴿المعراج﴾ . . وعن مرائيه في ﴿المعراج﴾ يكون صادقاً فيما حدث به . . .

ونلاحظ أن القرآن الكريم حينما تعرض لآية أرضية وهي الاسراء . . قال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه . .﴾ . . فكأن الفعل هنا ﴿إراءة﴾ وماهي الاراءة . . ؟ . . ان الاراءة هي أن تجعل من لايرى . . ﴿يرى﴾ . . وذلك اما بتحويل المرئي إلى قانون الرائي . . أو

بنقل الرائي لأن ينفذ إلى قانون المرئي . .

ولنأخذ مثلاً توضيحاً لذلك :

هناك الميكروب الذي يُكتشف . . الميكروب كان موجوداً قبل أن يُكتشف . . وليس معنى اكتشافه انهم أوجدوه . . ولكنه كان موجوداً دون أن يكون للحس طريق إليه . . فلما اخترعت المجاهر أمكن للذي لا يُرى . . يُرى بماذا . . ؟ . . يُرى بعملية تحويل . . وهي اننا أتينا بعدسة تكبر لنا الأشياء . . فما لم يكن يُرى أولاً . . أصبح يُرى الآن . . .

ومثلاً : يذهب المريض ببصره إلى طبيب مختص . . والطبيب بدوره يعطي له نظارة . . والنظارة تكبر له الأشياء . . فما لم يكن يراه أولاً . . رآه ثانياً . . وقد يجري له عملية جراحية في عينيه بحيث لا يحتاج إلى هذه النظارة . . فاذا لم يحتاج إلى هذه النظارة ليرى . . يقال : رأى هو . . .

إذاً . . الاراءة اما أن تكون بتغير ما فيه إلى قانون الرائي فيرى . . أو باعطاء شيء في المرئي ليرى بذاته . . فلما جاء في حادث ﴿الاسراء﴾ . . قال : ﴿لنريه﴾ لأن محمدﷺ على الأرض . . وبشري بقانون البشرية . . وقانون الأبصار فيه خاضع لقانون الضوء . . وقانون الضوء لا يختلف فيه أحد . . فاذا كانت هناك آيات من غيب الله في الأرض . . فلابد أن يحدث له إراءة لأنه بطبيعته لا يرى هذه الأشياء . . فالاراءة إذاً كانت هناك في الأرض . ولكن حينما ينتقل الرسولﷺ إلى الملأ الأعلى . . ويلتقي بالأنبياء الذين ماتوا قبله . . ويلتقي بالملائكة . . إذاً . . فقد تغير شيء في ذاتية محمدﷺ وكأنه طرح البشرية

وأخذ شيئاً من الملائكية التي ترى بنفسها[1] ..

فلما صعد إلى السماء قال الله سبحانه وتعالى : ﴿لقد رأى﴾ .. ولم يقل ؛ ﴿أريناه﴾ .. ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ .. ففي آية ﴿الاسراء﴾ .. ﴿لنـريه﴾ أي .. ﴿أرينـا﴾ .. وفي آيات السماء .. في ﴿المعـراج﴾ .. قال : ﴿رأى﴾ .. ويرى .. فكان الرسولﷺ في بشريته في الأرض كان محتاجاً إلى أن يعدل القانون في ذاته بالنسبة للرائي والمرئي .. وأما في السماء فقد أخذ وضعاً آخر .. وهذا الوضع الآخر اصبح بذاتـه يري .. لأنـه أصبحـت هنـاك ملـكية .. فالبشرية طرحت في الأرض .. والملائكية اصبحـت هي المسيطـرة على رسول الله ﷺ فأصبح يرى .. لكن في الأرض كانت إراءة ...

ان رسول الله ﷺ في هذه المسألة تعرض لثلاث مراحل :

المرحلة الأولى :

كان بشراً .. وجبـريل عليه السـلام يَعْـرِضُ على محمـدﷺ الأشياء .. ثم يقـول : ما هذا ياجبـريل .. ؟ .. فيقـول هذا كذا وكذا ..

---

١ ـ يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه شجرة الكون ص ـ ٨٧ ...
واعلم أنه انما كانت حكمة خلقه كذلك .. أنه خلق من لطيف وكثيف ليكون كامل الوصف كامل الخلق «يقصد سيدنا محمدﷺ» خلقه الله من ضدين جسماني وروحاني .. فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر .. ومقايسات الصور .. فجعل له قوة يلاقي البشر .. فيمدهـم بمادة بشريته .. فيكون معهم بهم .. فيكون هم لهم .. قوله تعالى ﴿انما أنا بشر مثلكم﴾ يجانسهم ويشاكلهم .. لأنه لو برز إليهم في هيئة روحـانية ملـكية نورانية لما أطاقـوا مقابلتـه .. ومـا استطاعوا مقاومته .. فلذلك منَّ الله تعالى بقوله : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ثم جعل له قوة روحانية يقابل بها عالم الروحانيين .. وملكوت العلويين .. ليكون تام البركة .. تام الرحمة .. والروحانيون يشهدون جسمانيته ...

الثانية
المرحلة الثالثة :

لما صعد الى السماء كان يرى المرائي .. فلا يستفهم من جبريل عنها .. ويسمع فيفهم .. إذاً فقد تحول شيء في ذاتية محمد .. وأصبحت له ذاتية فاهمة بلا واسطة جبريل عليه السلام .. ووارثية بلا واسطة أحد .. ففي الارض إراءة .. وأما في السماء فقد رأى بالرؤية .. ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل إلى مرحلة يكون فيها ملائكياً كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم .. يأتي بعد ذلك في منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى فينتهي حد جبريل عليه السلام ..

المرحلة الثالثة :

يزج برسول الله ﷺ في سبحات النور ولم يكن جبريل معه .. وهذا دليل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر .. ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ماوراء سدرة المنتهى .. إلى شيء من الممكن أن يتحمل إلى ماوراء سدرة المنتهى .. ودون مصاحبة جبريل عليه السلام ..

إذاً .. ان سيدنا محمد كان بشراً في الأرض مع جبريل .. وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل في السماء .. وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقي به عن الملكية .. حتى ان جبريل نفسه يقول له :

﴿ ... أنا لوتقدمت لا حترقت[١] .. وانت لو تقدمت لاخترقت[٢] .. ﴾ ... إذاً .. إن ذاتية محمد ﷺ حصل فيها شيء من

---

١ ـ يا محمد : إذا كان العرش مشوق إليك .. فكيف لا أكون خادم يديك .. فقدم له مركبه الأول : وهو البراق إلى بيت المقدس .. ثم المركب الثاني : وهو المعراج إلى السماء الدنيا .. ثم

التغيير . . وذلك التغيير الذي يناسب ذلك الملأ الأعلىٰ . . فجبريل عليه السلام بملائكتيه لا يستطيع أن يخترق . . وإلا احترق . . أما سيدنا محمدﷺ فيستطيع أن يخترق . . وعلىٰ هذا . . هناك ثلاثة أشياء حدثت لمحمدﷺ . . بشرية في الأرض معهودة بالمدد . . وبعد ذلك ملائكية في السماء قبل سدرة المنتهىٰ . . ثم بعد ذلك ملائكية فوق الملائكية . . وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى يصبح فيها ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ[٣]﴾ ويتعرض فيها إلىٰ خطاب الله سبحانه وتعالىٰ . . وإلىٰ رؤية الله سبحانه وتعالىٰ . . علىٰ خلاف بين العلماء في هذا . . .

▲ ▲ ▲

= المركب الثالث . . وهو أجنحة الملائكة من سماء إلىٰ سماء . . وهكذا إلىٰ السماء السابعة . . ثم المركب الرابع : وهو أجنحة جبريل عليه السلام إلىٰ سدرة المنتهىٰ . . وهنا تخلف جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهىٰ . . فقال : يا جبريل نحن الليلة أضيافك . . فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه . . أهمنا يترك الخليل خليله . . فقال : يا محمد : أنت ضيف الكريم . . ومدعو القديم . . لو تقدمت الآن بقدر أنملة لا حترقت لقوله سبحانه وتعالىٰ ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ سورة الصافات . . الآية ١٦٤ . . راجع شجرة الكون للشيخ محي الدين بن عربي ص ٩٥

٢ ـ قال : يا جبريل . . إذا كان كذلك ألك حاجة . . ؟ . . قال : نعم . . ! ! . . إذا انتهى بك الهيب حيث لا منتهىٰ . . وقيل لك ها أنت . . وها أنا . . فاذكرني عند ربك . . ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف حجاب من نور . . . راجع شجرة الكون أيضاً ص ٩٥ .

٣ ـ سورة النجم ـ الآية ـ ٩ . . .

موسى يطلب الرؤيا

سؤال :

هل هناك وجه شبه بين الكلام الذي تفضلت به يا فضيلة الشيخ الآن .. ؟ .. وبين الآيات التي تتكلم عن سيدنا موسى عليه السلام .. وذلك حين قال لربه :

﴿ارني انظر إليك .. قال لن تراني[1]﴾ ...

جواب :

نعم .. نلاحظ هنا ان السؤال من موسى عليه السلام كان من عين البشرية التي كانت لمحمد ﷺ أيضاً .. ولأن موسى عليه السلام لم يسأل ﴿الرؤيا﴾ .. وانما سأل ﴿الاراءة﴾ لأنه في الأرض .. ﴿ربي أرني انظر إليك﴾ الآية ... و ﴿أرني﴾ المطلوب فيها الاراءة .. بمعنى : ان ترني انظر .. وان لم ترنى لا انظر .. فكأنني بطبيعة تكويني لا أقدر أن انظر إليك .. ولكن ان عدلت في .. واريتني .. أرى .. ارني .. انظر .. ويبدو لنا ان الذي طلبه موسى عليه السلام ﴿الاراءة﴾ وليست ﴿الرؤية﴾ .. لأنه يعلم بطبيعة تكوينه أنه لا يرى .. ولكن الذي خلقه يستطيع أن يريه .. إذاً .. أن طلب موسى عليه السلام كان ﴿الاراءة﴾ كالذي حدث لمحمد ﷺ في آية الاسراء الأرضية ﴿ليريه﴾ .. أيضاً هي ﴿اراءة﴾ ... وبعد ذلك نبحث بحثاً آخر في الجوانب .. ﴿ربي أرني انظر إليك﴾ .. كان موسى عليه السلام يقول : أنا بطبيعة تكويني لا أقدر أن أراك .. لكن أنت خالقي .. وخالق القوانين ..

---

١ ـ سورة الاعراف ـ الآية ـ ١٤٣ ...

فتستطيع أن أمددنني بقوانين من عندك أن أرىٰ . . فان أريتني انظر . . وان لم ترني لا استطيع . . . فماذا كان جواب الحق سبحانه وتعالىٰ له . . قال : ﴿لن تراني﴾ . . إذاً . . ان المانع ليس من جهة الحق سبحانه وتعالىٰ . . ولكن من جهة موسىٰ عليه السلام . . لم يقل له ﴿لن أرىٰ﴾ . . بل قال : ﴿لن تراني﴾ أي أن طبيعتك التكوينية لا تقوىٰ علىٰ رؤيتي . . ولو أن الحق لا يرىٰ . . لقال له : ﴿لن أرىٰ﴾ . . وينتهي الأشكال . . ولكن قال له : «لن تراني» . . .

وبعد ذلك قال له . . ولكن : ﴿انظر إلىٰ الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني﴾ . . لقد أمده بشيء مادي موجود وهو ﴿الجبل﴾ والجبل لا شك أنه موجود أمام موسىٰ عليه السلام . . الجبل عندنا وعند موسىٰ عليه السلام أقوىٰ بنية من موسىٰ عليه السلام وأشد صلابة . . ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ . . إذاً . . لا مانع أن يتجلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ علىٰ بعض الخلق . . وقد تجلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ على الجبل . . ولكن . . ان الجبل الصلب القوي لم يتحمل هذا التجلي . . فقد تفتت مع صلابته ومع قوته . . حينئذ تفهم أن السر في قوله تعالىٰ : ﴿لن تراني﴾ أي : ان طبيعتك وتكوينك لا يتحملا رؤيتي . . بدليل أنك لو نظرت الىٰ الجبل . . وأنا سأتجلىٰ للجبل فان استقر مكانه . . فاعلم انك تراني . .

فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً . . وخر موسىٰ صعقاً﴾ . . الآية . . ان موسىٰ صعق لرؤية المتجلي . . ؟ ! ! . . إذاً ـ فقول الحق سبحانه وتعالىٰ : ﴿لن تراني﴾ دليل علىٰ أن طبيعة تكوين البشر ليست معدة إعداداً بحيث تستطيع أن ترىٰ ربها . . أما الله سبحانه وتعالىٰ فمن الممكن أن يُرىٰ . . ولكن بعد تعديل طبيعتنا بحيث تقوىٰ علىٰ رؤيته ـ والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ تجلىٰ علىٰ الجبل . . وما دام تجلىٰ

على الجبل . . والجبل خلق من خلقه . . إذاً . . فمن الممكن أن يتجلى على بعض خلقه . . ولكن . . ان البعض من خلقه يتحملون التجلي أو لا يتحملون . . فمن رحمته تعالىٰ أنه لا يتجلىٰ لنا . . لأن طبيعة تكويننا لا تتحمل ذلك التجلي . . ان الجبل مع ضخامته ماذا أصبح . . ؟ . . ! ! . .

﴿فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً . . وخر موسىٰ صعقاً . . .﴾ . . فسؤال موسى لله سبحانه وتعالىٰ ﴿ارني﴾ دليل علىٰ ان ذلك ليس محالاً . . أو ليس ممكناً . . لأن كثير من الرسل تصرفو تصرفات . . ولم يقف الله سبحانه وتعالىٰ منهم موقف موسىٰ عليه السلام . . بل قال : ﴿لا تسألن ما ليس لك به علم﴾ . . فإذا سأل نبي سؤال يكون لا جواب له . . فيقول : ﴿لا تسألن ما ليس لك به علم﴾ . . ولم يقل لموسىٰ عليه السلام لا تسألن ما ليس لك به علم . . وانما قال له بالدليل المنطقي : ﴿لن تراني﴾ أنت . . ولكن انظر الىٰ الجبل فان استقر . . إذاً . . فعدم تجلي الله سبحانه وتعالىٰ على موسىٰ عليه السلام ـ رحمة به ـ حتىٰ لا يتفتت تفتت الجبل . . والجبل الذي هو أقوى من موسىٰ عليه السلام . . ﴿فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً . . وخر موسىٰ صعقاً[1]﴾ .

---

١ ـ سورة الاعراف ـ الآية ـ ١٤٣ . . .
اننا لفي حاجة إلىٰ استحضار ذلك الموقف الفريد في خيالنا وفي أعصابنا وفي كياننا كله . . وكانت الوهلة المذهلة وموسىٰ عليه السلام يتلقىٰ كلمات ربه ـ وروحه تتشوف وتستشرف وتشتاق الىٰ ما يشوق . . ! ! . . فينسىٰ من هو وما هو ـ ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض . . ومالا يطيقه بشر في هذه الأرض . . يطلب الرؤية الكبرىٰ وهو مرفوع في زحمة الشوق ودفعة الرجاء ولهفة الحب ورغبة الشهود . . حتىٰ يترفق به الرب العظيم الجليل . . فيعلمه لماذا لم يراه . . انه لا يطيق . . ولكن انظر الىٰ الجبل فان استقر مكانه فسوف ترىٰ ربك . . والجبل

المعراج

سؤال :

بعد هذه الصورة الرائعة .. يمكننا أن نعود إلىٰ الآية مرة أخرىٰ .. ﴿لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ﴾ .. هل نفهم منها فهماً آخر غير وصف آيات الله سبحانه وتعالىٰ بالكبرىٰ .. ؟ ؟ ..

جواب :

نعم .. نحن قد قلنا أن الذي كان في الأرض ﴿إراءة﴾ لأن فيه بشرية .. فلما انتقل إلىٰ السماء انحلت البشرية بعض الشيء عن رسول الله ﷺ وأصبحت الملائكية هي الطاغية .. فأصبح يخاطب الملائكة .. ويكلم الرسل الذين ماتوا .. ويلتقي بهم[1] .. وجاءت بعد ذلك المرحلة الثالثة التي تكلمنا عنها وقلنا ان جبريل عليه السلام نفسه وهو ملك من الملائكة العظام .. لم يقدر عليها حيث قال : إلىٰ هنا مكاني .. وذلك يدل علىٰ أن محمداً ﷺ .. نقل نقلة أخرىٰ فوق الملائكية .. ليهيأ .. لماذا .. ؟ .. لكلام الله المباشر وإلىٰ الرؤية علىٰ الخلاف فيها ..

= أمكن واثبت .. والجبل مع تمكنه وثباته أقل تأثراً واستجابة من الكيان البشري .. ومع ذلك فماذا .. ؟ .. لما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً .. وكيف كان هذا التجلي .. ؟ .. نحن لا نملك أن نصفه .. ولا نملك أن ندركه .. ولا نملك أن نستشرفه إلا بتلك اللطيفة التي تصلنا بالله سبحانه وتعالىٰ .. لذلك لا نحاول بالألفاظ أن نصور هذا التجلي .. وعلىٰ كل حال هنا أدرك موسىٰ عليه السلام رهبة الموقف وسرت في كيانه البشري الضعيف فخر مغشياً عليه ـ غائباً عن وعيه ...

١ ـ أولاً : العروج إلىٰ السماء .. وأخذ جبريل بيد رسول الله ﷺ .. فعرج به الىٰ السماء .. فلما جاء إلىٰ السماء الدنيا .. قال جبريل عليه السلام لخازنها : افتح .. قال : من هذا .. ؟ .. قال جبريل . قال : هل معك أحد .. ؟ .. قال : نعم .. معي محمد ﷺ ... فقال : أرسل إليه .. ؟ .. قال : نعم .. فلما فتح على النبي ﷺ السماء الدنيا .. فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة ﴿جمع سواد وهو الشخص لأنه يُرىٰ من بعيداً أسود﴾ وعلى يساره

إذاً . . ان الحق سبحانه وتعالىٰ حينما تكلم . . ماذا قال :

أسوده إذا نظر قِبَل يمينه ضحك . . وإذا نظر قِبَل شماله بكىٰ . . فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . . فسأل النبي ﷺ جبريل . . من هذا . . ؟ . . فقال : هذا آدم عليه السلام . . وهذه الأسودة التي علىٰ يمينه وعن شماله نَسمُ «واحدتها نسمة وحي الروح أو النفس» بينه . . فأهل اليمين منهم أهل الجنة . . والأسودة التي عن شماله أهل النار . . فاذا نظر عن يمينه سحك وإذا نظر عن شماله بكىٰ . .

ثانياً : ثم عرج بالنبي ﷺ إلىٰ السماء الثانية فاستفتح كما في المرة الأولىٰ . . فاذا يحيى وعيسىٰ وهما ابنا خالة . . فسلم عليهما . . فقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . . وقد وصف عيسىٰ بأنه رجل أبيض أحمر كأنه خرج من ديماس يعني من حمام . . ربوع الخلق سبط الرأس عريض الصدر . . خديد البصر . . ثم عرج بالرسول ﷺ إلىٰ السماء والثالثة وفيها يوسف عليه السلام وقد أعطي شطر الحسن . . فرحب به ودعا له بخير . . وفي السماء الرابعة رحب به ﷺ إدريس . . وفي الخامسة هارون . . وفي السادسة موسىٰ . . وكلهم يقول : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . . فلما جاوز النبي ﷺ . . بكىٰ موسىٰ . . قيل ما يبكيك . . ؟ . . قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي . . وقد وصف موسىٰ بأمته رجل الشعر جسيمٌ طوالٌ آدم . . ثم صعد رسول الله ﷺ إلىٰ السماء السابعة فاستفتح جبريل . . قيل : من هذا . . ؟ . . قال : جبريل . . قيل : ومن معك . . ؟ . . قال : محمد . . قيل : وقد بعث إليه . . ؟ . . قال : نعم . . قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء . . فلما خلَص إليه إذا بابراهيم مسنداً ظهره إلىٰ البيت المعمور . . . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . . قال جبريل : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه . . فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . . وقد وصفه الرسول ﷺ بقوله : أنا أشبه ولده به . .

ثالثاً : ثم رُفع النبي ﷺ إلىٰ سدرة المنتهىٰ . . فاذا ثمرها مثل قلال هجر . . «القلال جمع قلة وهي إناء كالجر . . وهجر : اسم بلد . . مدنية البحرين وهي مشهورة بالتمر وكثرته . .» وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . . واذ هي يسير الراكب بالفنن منها مئة سنة . . يستظل بالفنن «الأغصان» منها مئة راكب . . فلما غشيها من أمر الله سبحانه وتعالىٰ ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله سبحانه وتعالىٰ يستطيع أن ينعتها من حسنها . .

رابعاً : وهكذا رفع النبي ﷺ الى مستوىٰ سمع فيه صرير الأقلام . . أي : أقلام القدر . . وغشي السدرة ما غشيها من فراش من ذهب . . ورأىٰ محمد ﷺ جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله سبحانه وتعالىٰ عليها وله ستمائة جناح . . ورآه في حلة من ياقوت قد ملأ ما بين السماء

- والأرض . . ورأى رفرفاً أخضر . . ﴿الرفوف . . الشجر الناعم المسترسل أو الرياض﴾ قد سد الأفق . . كما رأى نهرين ظاهرين . . ونهرين باطنين . . فسأل جبريل فقال : أما الباطنان فنهران في الجنة . . وأما الظاهران فالنيل والفرات . . ﴿متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة . . ومعنى الحديث ان اصلهما من الجنة . . لا انهما ينبعان الآن منها . . فقد يقال مثلاً عن ماء في كأس . . هذا الماء من السماء . . وقد يقصد المعنى اللغوي﴾ . .

خامساً : وأدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها جنابذ ﴿قباب﴾ اللؤلؤ . . وإذا ترابها المسك فسمع في جانبها صوتاً خفياً . . فقال يا جبريل : ما هذا . . ؟ . . قال : هذا بلال المؤذن . . لذا كان ﷺ يقول : قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا ﴿رواه الترمزي وقال حديث حسن غريب . . وهو صحيح﴾ . .

سادساً : وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة أسري بي . . فقال : يا محمد . . أقرىء أمتك مني السلام . . وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة . . عذبة الماء . . وأنها قيعان . . وان غراسها . . سبحان الله . . والحمد لله . . ولا إله إلا الله . . والله أكبر . . . ﴿رواه الامام أحمد باسناد صحيح﴾ . . ومرت برسول الله ﷺ رائحة طيبة فقال : ما هذه الرائحة . . ؟ . . قال : ما شطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت : باسم الله . . فقالت بنت فرعون . . أبي . ؟ . . قالت : ربي وربك ورب أبيك . . قالت : أولك رب غير أبي . ؟ . . قالت : نعم . . ربي ورب أبيك الله . . فدعاها فرعون . . فقال : ألك رب غيري . . قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل . . فأمر ببقرة من نحاس فأحميت . . ثم أمر بها أن تلقى في النار . . قالت : إن لي إليك حاجة . . . قال : ما هي . . ؟ . . قالت : تجمع عظامي وعظام أولادي في ثوب واحد . . وتدفننا . . قال : ذلك لك لما لك علينا من الحق . . فأمر بهم فألقوا بين يديها واحداً واحداً . . إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها رضيع . . . وكأنها تقاعست من أجله . . فقال : يا أمة اقتحمي فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . . .

ورأى رسول الله عليه وسلم قصراً من ذهب . . فقال : لمن هذا القصر . . ؟ . . فقالوا : لفتى من قريش . . فظن ﷺ أنه له : فقال : من هو . . ؟ . . قيل : عمر بن الخطاب . . فكان ﷺ بعد ذلك يقول : لو لا ما أعلم من غيرتك لدخلته . . فكان عمر رضي الله عنه يقول: بأبي وأمي يارسول الله . . أعليك أغار . . ورأى رسول الله ﷺ مالكاً خازن جهنم فابتدأ الرسول ﷺ . . ونظر الرسول ﷺ في النار فاذا قوم يأكلون الجيف . . قال : من هؤلاء يا جبريل . . ؟ . . قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم النار . . ورأى رسول الله ﷺ رجلاً أحمر

عن الهوىٰ . . ان هو إلا وحي يوحىٰ . . علمه شديد القوى . . ذو مرة فاستوىٰ . . وهو بالأفق الأعلىٰ . . ثم دنا فتدلىٰ . . فكان قاب قوسين أو ادنىٰ . . فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ . . ما كذب الفؤاد ما رأىٰ . . أفتمارونه علىٰ ما يرىٰ . . ولقد رآه نزلة أخرى . . عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوىٰ . . إذ يغشى السدرة ما يغشى . . ما زاغ البصر وما طغىٰ . . لقد رأى من آيات ربه الكبرىٰ[1] . . .

هنا وقفة . . ان نصوص القرآن من الله سبحانه وتعالىٰ . . وكل لفظ له إيحاءه . . فاذا قال الله سبحانه وتعالىٰ ﴿أفتمارونه على ما يرىٰ﴾ . . أي : افتجادلونه ان قال لكم رأيت كذا وكذا وكذا . . ﴿لقد رآه نزلة أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ﴾ . . وبعد ذلك ما جاء في المرحلة الأخيرة . . قال : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرىٰ﴾ . . هذه أخبار من الله سبحانه وتعالىٰ . . ولم تكن من محمد ﷺ . . كأن محمد ﷺ قال مالاتطيقه عقول البشر . . فقال : أفتمارونه علىٰ مايرىٰ . .

أزرق جعداً شعثاً فقال : من هذا ياجبريل : قال : هذا عاقر الناقة . . .

ورأىٰ رسول الله ﷺ الدجال وهو أقمر هجان ﴿أي أبيض﴾ إحدىٰ عينيه قائمة كأنها كوكب . . وكان شعر رأسه أغصان شجرة . . . ومر ﷺ بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون بها وجوههم وصدورهم فقال : من هؤلاء يا جبريل : قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . . .

ورأىٰ رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار . . فقال : من هؤلاء يا جبريل . . ؟ . . فقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون . . . و هناك مناظر أخرى

ورد في بعض روايات قصة الاسراء والمعراج أخبار عن رؤية النبي ﷺ جزاء طائفة من مرتكبي الذنوب والكبائر وعقابهم ـ ولقد ورد في الأحاديث الصحيحة ان النبي ﷺ رأىٰ في الرؤيا بعض هذا الجزاء الذي ينتظر مرتكبي المعاصي . .

١ ـ سورة النجم ـ الآية ـ ١ ـ ٩ . . .

ولقد رآه نزلة أخرىٰ . . وذلك رحمة من الله سبحانه وتعالىٰ بعقول البشر . . لذلك جاء في شيء من الأشياء . . وقال : لماذا تجادلونه في هذا . . ؟ . . ﴿لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ﴾ . . فذلك أخباراً من الله سبحانه وتعالىٰ . . وليست أخبار من محمد ﷺ . . حيث لم يقل محمد وانما الله قال . . والكبرىٰ هنا عند المفسرون حين يتكلمون يجعلونها وصفاً للآيات فهو قد رأى آيات ربه . . الآيات الكبرىٰ العظيمة . . لكن التحقيق الذي يقبله الذوق السياقي . . أن قوله : لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ . . أي أنه رأىٰ الآية الكبرىٰ من آيات ربه . . فكأن آيات الله سبحانه وتعالىٰ التي حدث عنها هي آيات من آيات وحسبها عظمة وعجباً أن تنسب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ . . لكن . . هناك آية كبرىٰ . . وهي التي تقف العقول فيها وقفة . . لأنها إذا كانت الآيات العادية وقفت هذه الوقفة . . فما بالكم بها مع الآية الموصوفة من الله سبحانة وتعالىٰ بأنها ﴿الآية الكبرىٰ﴾ . . أي : لقد رأى الكبرىٰ من آيات ربه . . فكأن ﴿الكبرىٰ﴾ هي المفعول . . وليست وصف الآيات . . ولكن . . ﴿لقد رأىٰ من آيات ربه﴾ . . ماذا رأىٰ . . ؟ . . رأي ﴿الآية الكبرىٰ﴾ التي هي أعلىٰ من هذه الآيات . . ؟ . . لا شك أن جبريل كان معه في الأرض . . كان يشاركه في هذه المرائي . . وفي السماء أيضاً كان معه جبريل . . لكن في الآية الكبرىٰ كانت المرحلة الأخيرة . . التي لم يقدر عليها جبريل . . ولا أحد من الملائكة . . وقد انفرد رسول الله ﷺ بها . . .

وإذا نظرنا إلىٰ قول الحق سبحانه وتعالىٰ أيضاً . . ﴿ثم دنا فتدلىٰ . فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ . . أنا شخصياً لست مع

المفسرين حين يفسرون ﴿دنـا﴾ . . المدنـون والدانـي . . جبـريل . .
والسبب ان جبريل مع محمد ﷺ وما دام جبريل معـه . . فمـن الـذي
دنا . . ؟ . . ومن الذي كان قاب قوسين أو ادنىٰ . . ؟ . . ذلك ملحظ
آخر يعطينا أن الدنو . . ﴿ثم دنا فتدلىٰ﴾ . . بشيء آخر . . من ربه . .
أو ربه منه . . إيناس بما يكون من رؤيته للحق سبحانه وتعالىٰ . . أو من
كلام الحق سبحانه وتعالىٰ له . .

▲ ▲ ▲

ليس كمثله شيء[1]

سؤال :

هل إذا ذهبنا إلىٰ القول بدنو الرسول ﷺ من الله سبحانه وتعالىٰ أو دنو الله سبحانه وتعالىٰ منه . . ألا يوجد معنىٰ التجسد . . أو التحيز . . والله سبحانه وتعالىٰ منزه عن ذلك . . ؟ . . .

جواب :

نحن قد قلنا ان الله سبحانه وتعالىٰ «موجود» . . وأنا «موجود» . . فهل وجود الله سبحانه وتعالىٰ كوجودي أنا . . وأنا اعلم بأنني اتكلم مع الأخ رياض . . والله سبحانه وتعالىٰ يعلم ذلك . . فهل علمي كعلم الله سبحانه وتعالىٰ . . ؟ . . وأنا أوصف بأنني حي . . والله سبحانه وتعالىٰ يوصف بأنه حي . . فهل حياة الله سبحانه عما يصفون كحياتي أنا . . ؟ . . .

إذاً . . لماذا يفسرون أن دنو الله سبحانه وتعالىٰ وتدليه . . أو دنو الرسول ﷺ وتدليه . . كدنوي أنا وتدليني . . وما دمنا قلنا : «سبحان» . . فاذا أوجد شيء لله سبحانه وتعالىٰ مثله للبشر . . فلا بد أن ننسبها إلىٰ سبحانه وتعالىٰ ننسبها إلىٰ الأصل في سبحانه . . وإذا كان الله سبحانه وتعالىٰ قد وصف بأشياء مثل : ﴿استوىٰ علىٰ العرش[2]﴾ . . ونحن لنا استواء أيضاً علىٰ الكرسي . . فلا نقول ان استواء الله سبحانه

---

١ ـ سورة الشورى ـ الآية ـ ١١ . . .

٢ ـ الاعراف ـ ٥٤ . . يونس ـ ٣ . . الرعد ـ ٢ . . الفرقان ـ ٥٩ . . . السجدة ـ ٤ ـ الحديد ـ ٤ . .

وتعالىٰ كاستوائي . . لأنني لم أقل ان وجوده كوجودي . . ولا علمه كعلمي . . ولا غناه كغناي . . ولا حياته كحياتي . . لماذا . . ؟ . . قالوا : لأن الدنو والتدلي من صفة الأجرام . . . والله سبحانه وتعالىٰ منزه عن الجرامية . . إذاً . . يجب أن نأخذ الفعل بالنسبة لفاعله . . وعلىٰ فرض أن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي دنا فتدلىٰ . . أليس الله سبحانه وتعالىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا كله ليلة كما في الحديث الشريف[1] : فيقول : ﴿هل من تائب فأتوب عليه . . هل من مستغفر فأغفر له . .﴾ . . فلا أتصور التنزل بأنه تنزل لتنزلي . . لماذا . . ؟ . . لأنني عندي اطار عام وهو . . أنه سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء . . فاذا أوجد وصف لله سبحانه وتعالىٰ . . ووجد وصف مثله للبشر . . فيجب أن أقرن الوصف بالله سبحانه وتعالىٰ . . لأنه ليس وصفه كوصفي . . والله منزه عن أن تكون ذاتي كذاته . . وفعلي كفعله . . وصفاتي كصفاته . . فهو سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء . . .

---

١ ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله . . حدثنا مالك . . عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأعز وأبي سلمىٰ بن عبد الرحمن . عن أبي هريرة رضي الله عنه . . أن رسول الله ﷺ ـ قال : يتنزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر . . فيقول : من يدعوني فأستجيب له . . ؟ . . من يسألني فأعطية . . ؟ . . من يستغفرني فأغفر له . . اخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء في نصف الليل ج ٨ ص ٧١ . . .

وأما قول فضيلة الشيخ الشعراوي عن دنو الله سبحانه وتعالىٰ . . . نقول : ألا يجوز أن يكون الدنو والتدلي لسيدنا محمد ﷺ لقوله تعالىٰ : وهو بالأفق الأعلىٰ . . ماذا جاء بعدها . . ثم دنا فتدلىٰ . . أي قد يكون محمد ﷺ قد تطاول للوصول أكثر وللاقتراب أكثر . . فكان قاب قوسين أو أدنىٰ . . فالانسان بحد ذاته إذا كان يريد رؤية شيء ما ولا يراه فيقف على أصابعه ليرفع نفسه كي يرىٰ . . وهكذا قد يكون ذلك فعل من محمد ﷺ . . فقد دنا . . أي اقترب من ربه ليرىٰ حباً بتلك الرؤية . . وليسمع حباً بالسمع . . . ما كذب الفؤاد . ما رأىٰ . . . .

أمثلة وصور

سؤال :

فضيلة الأستاذ محمد متولي الشعراوي . .

نود الآن أن نتناول المرائي في حدث الاسراء . . ؟ . . ولماذا كان هذا النوع بالذات من المرائي . . ؟ . . أقصد أننا نلاحظ كما ذكرنا في صدر كلامنا تخيير النبي محمد ﷺ بين اللبن والخمر[1] . . حيث اختار النبي محمد ﷺ اللبن . . وأنه مرّ على بعض من الناس يزرعون ويحصدون في نفس اليوم . . أو في نفس الساعة . . وهؤلاء هم المجاهدون . . وأنه وجد أناساً لهم مشافر كمشافر الإبل . . وآخرون يأكلون كرات من النار . . ثم يخبر بأنهم الذين يأكلون أموال اليتامى . . ما هي هذه الصور وغيرها . . ؟ . . ومادلالتها . . ؟ . . ومعناها . . ؟ . . ومن هم خطباء الفتنة . . ؟ . . نريد أن نعرف شيئاً عن كل ذلك . .

جواب :

ان منهاج الرسل دائماً أنهم يأتون من الله سبحانة وتعالى خالق الانسان بقانون صيانة ذلك الانسان . . لأننا جميعاً مقتنعون بأن صانع

---

١ ـ دخل رسول الله ﷺ المسجد فصلى فيه ركعتين وخرج بعدها فجاءه جبريل عليه السلام بإناء في خمر وإناء من لبن . . . فاختار اللبن فقال جبريل : هديت الفطرة ولو اخذت الخمر غوت أمتك . . .

الصنعة هو الذي يقرر قانون صيانتها . . وان صانع التلفزيون هو الذي يقرر قانـون صيانتـه . . وكيفية استعمالـه وتشغيلـه . . إذاً . . . فكل مصنوع صنعته من البشر هو الذي يضع قانـون صيانـة المصنـوع الذي صنعه . . وحيث أنه لم يوجد أحد يدعي أنه خلق الانسان . . إذاً . . فالانسان صنعته الله سبحانه وتعالىٰ . . والله سبحانه وتعـالىٰ هو الـذي يحدد قانون صيانة ذلك الإنسان . . لأن الله لا يخلق خلقـه . . وبعـد ذلك يتدخل الخلق ليضعوا قانون الصيانة له . . هذه حالـة كحالـة أن أذهب أنا بالتلفزيون إلىٰ الجزار لكي يصلحه لي . . لا فالذي يضع قانون صيانة الشيء هو الذي خلق . . ﴿ألا يعلم من خلـق[1]﴾ . . والـذي يدلك علىٰ ذلك . . ان كل تشريع من تشريعات البشر ان احسن الظن برغبتهـم في الخـير . . ورغبتهـم في الاصـلاح . . عرضـة لأن يتغـير ويتبدل . . وأن يذهب ويجـيء غـيره . . ولا يبقـىٰ قانـون من قوانـين الوضع البشري إلا ببقاء السوط الذي يحميه . . فاذا ذهب السوط الذي يحميه انحـل القانـون بطبيعتــه . . فكأن وراء كل قانــون بشري قوة تحميه . . وحين تذهب هذه القوة . . يضمحل وأحب أن أقول للذين يقننون :

ان القوانين البشرية تقنـن للنفس الإنسـانية . . فماذا عرفتـم في النفس الإنسانية . . ؟ . . انتم تعرفـون زاوية . . ! ! . . ولكنـكم تجهلون زوايا . . ما هي النفس الانسانية . . ؟ . . هي ليسـت بطـن ومعدة فقط . . وهي ليست عقلاً يعي ويفهم فقط . . وهي ليست وجداناً فقط . . انها ملكات متعـددة . . وأنتـم إلىٰ الآن لا تعرفـون عدد هذه الملكات . . فكيف تقننون لشيء لا تعرفونه . . .

---

١ ـ سورة الملك ـ الآية ـ ١٤ . . .

إذا . . ان المقننون يعرفون شيئاً فيقننون له . . ويتركون الملكات الأخرىٰ النفسية جائعة . . وهنا ماذا يحدث للإنسان المشتمل علىٰ كل هذه الملكات . . ؟ . . وفيه ملكة شبعة . . وملكات جائعة . . لا بد أن يحصل التمزق والقلق النفسي له . . والدليل علىٰ ذلك مثلاً : الجماعة الذين يعتبرون النظام الاقتصادي هو كل شيء في الدنيا كالسويد . . التي هي بالاحصائيات أرقىٰ دولة في مستوىٰ المعيشة . . فالفرد فيها مرفه رفاهية عالية جداً . . ومع ذلك ففي هذه الدولة الراقية أعلىٰ نسبة انتحار بين شبابها . . علاوة علىٰ أمراضهم العصبية والجنونية . . الخ . . وهذا دليل علىٰ أنه ليست المعدة هي كل شيء . . ولا الماديات هي كل شيء . . فهناك ملكات جائعات في هذه النفوس . . وإلا فما الذي يدعو الانسان إلىٰ الانتحار وترك الحياة . . ؟ . . والسبب أن لديه قلقاً . . ! ! . . وهو بحد ذاته لا يعرف مصدره . . ! ! . . ولا يعرف طريقاً لعلاجه . . ! ! . . لأن فيه ملكات نفسيه جهلها البشر[1] . . فلم يقننوا لها . . وان قننوا لها فتقنين جاهل بها لم يخلقها . . .

إذاً . . فالذي يخلق الشيء هو الذي يقنن له . . وعلىٰ ذلك . . فالحق سبحانه وتعالىٰ هو الذي خلق الخلق وهو الذي خلق النفس البشرية . . وهو الذي يقنن لها . . وقد جاء الرسل لتنظيم حركة الحياة في ذلك الانسان . . وبقانون صيانته . . وما دامت هذه هي مهمة الرسل عليهم الصلوات والسلام . . وهم بدورهم سيتعرضون لقوانين اقتصادية وسياسية وعملية واجتماعية وخلقية . . وسيتعرضون لأشياء كثيرة منها القوانين التعبدية . . وفي القانون التعبدي الذي يقول فيه الله سبحانه وتعالىٰ . . تقرب إلي بكذا . . وليس للعقل مجال فيه . . لأن الله

---

١ ـ راجع كتاب فضائح القرن العشرين تجد الانحلال الذي أصاب العالم المتقدم . . .

سبحانه وتعالىٰ يقول لك . . تقرب إلي بأن تصلي خمس صلوات بشكل مخصوص . . ولكن في القوانين الأخرىٰ التي تتعلق بنظام المجتمع . . سياسة أو اجتماع . . أو . . أو . . . إلىٰ آخرة . . فناقشها ما شئت بعقلك . . وقارنها بأي قانون اقتصادي في العالم . . وستجد ان القوانين التي وضعها الاسلام لزوايا الحياة الاجتماعية هي المتفوقة وهي ذات السبق . . ففي كل التبعديات . . لا مجال للعقل ويجب التقرب لله سبحانه وتعالىٰ بما يريد . . أما ما عدا التبعديات فناقشها بعقلك . .

وقارنها بأرقىٰ المستويات وستجد السبق والتميز لها . . مع الشمول والاستيعاب . . والدليل علىٰ ذلك أن الأشياء التي كان أعداء الاسلام يأخذونها علىٰ الاسلام حينما كانوا يعدلون قوانينهم . . كان القانون بعد تعديله يلتقي مع وجهة نظر الاسلام إذا كان القانون سليماً . . فمثلاً كانوا ثائرين علىٰ الاسلام في مسألة الطلاق . . وبعد ذلك انتهوا في ايطاليا وفي بعض الدول الأخرىٰ إلىٰ أن الحل السليم والوحيد لمشكلات أسرية مستعصية هو ﴿إباحة الطلاق﴾ . . وذلك لأنهم وجدوا شرور عدم الطلاق أكثر . . ولذلك فهم حكما يرتقون . . أو يستنيرون . . أو تعذبهم هذه الحياة بواقعها . . يعودون بشكل مباشر إلىٰ قانون الاسلام . . ومثلاً . . ان أمريكا نعرف انها صرفت ولا زالت من أجل محاولة تحريم أو تخفيف شرب الخمور ملايين الدولارات . . والاسلام جاء من أول خطواته فحرمها . . وتعدد الزوجات الذي جعلوه عيباً من عيوب الاسلام . . هم الآن يبحثون في ضمه لقوانينهم لأنه يعتبر أفضل من النظام الموجود لديهم . . والقوانين الاقتصادية أيضاً . . إذا نظرت إليها . . ووجدتها ترقىٰ . . فستجدها في رقيها تلتقي مع نظرية الاسلام . . فالاسلام جاء من أقصر طريق . . لماذا . . ؟ . . لأنه

تقنين من يعلم . . من خلق . . وهو تقنين خالق الانسان . . وهو الذي أرسل ذلك التنظيم . . .

حين يأتي الله سبحانه وتعالىٰ بالتنظيم . . نجد فيه أشياء نسميها نحن في الوسائل التربوية الآن وسائل ايضاح . . ووسائل الايضاح هذه . . تنقل الكلام النظري إلىٰ كلام عملي . . ومعنىٰ وسائل الايضاح أنها أمر مادي . . عملي . . يرينا صدق القضية النظرية . . فاذا قلّت الحرارة تمددت الأجسام . . فلكي نثبت ذلك لا بد أن نوضحه بشكل عملي . . مثال علىٰ ذلك :

نأتي بحلقة معدنية ونمر بها الكرة . . وسنجد أن الكرة تمر من الحلقة بسهولة . . ولكن لو سخنت الكرة . . وحاولنا بعد ذلك إدخالها في الحلقة المعدنية . . لن تدخل . . ! . . لماذا . . ؟ . . لأن حجم الكرة قد تمدد بالحرارة . . هذهٖ هي وسيلة ايضاح قد بينت لنا هذه المسألة النظرية . . .

والدين يأتي بتشريعات . . فالرسول ﷺ رأى في هذه المرائي أشياء . . . وهذه الأشياء تعطي له واقع الأوامر المنهجية التي أتىٰ بها التكليف . . فأول شيء يعرضه لنا . . مسألة الفطرة . . وتغيير الفطرة . . وقد عُرض على رسول الله ﷺ كأس من اللبن . . وكأس من الخمر . . فاختار عليه الصلاة والسلام كأس اللبن . . وهنا . . قال له جبريل : ﴿هديت إلىٰ الفطرة﴾ . . ولنتساءل . . ما معنىٰ هديت إلىٰ الفطرة . . ؟ . . كأن الفطرة بطبيعتها نقية . . لأن اللبن الذي نشربه من أمهاتنا أو اللبن الذي نشربه مثلاً من البهائم لا صنعة للانسان فيه أبداً . . ! ! . . إذ أننا نشربه كما ينزل . . فهذه هي الفطرة . . لكن في الخمر . . نحن نأخذ رزقاً من الرزق الحسن ـ عنب ـ وبعد ذلك نأتي

فتتلفه حين نخمره ونجعله ينتن ويتحلل .. إذاً .. نحن قد أخرجناه عن فطرته .. لذلك حينما يعرض القرآن ذلك يأتي بالحيثيات .. : كان العرب يشربون الخمر[1] ويقولون .. «سكر» .. يقول في كتابة العزيز : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾ .. صحيح انهم يأخذون منه ﴿سكراً﴾ .. ﴿ ورزقاً﴾ .. انظر إلى الدقة في ﴿ورزقاً حسناً﴾ .. فحينما جاء بالرزق وصفه بالحسن .. وفي السكر سكت عنه لأنه غير حسن .. ولو قال : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً أحسن .. لكان السكر أصبح فيه شيء من الحسن .. لكنه أتى بكلمة ﴿حسناً﴾ .. حتى تكون مقابلة للقبح .. كأننا نأخذ نعم الله سبحانه وتعالى ونتلفها ونخرجها عن الفطرة ..

---

١ ـ لقد كانت الخمر والميسر والانصاب والازلام من معالم حياة الجاهلية .. ولقد سبق هذا التحريم القاطع مراحل وخطوات في علاج هذه التقاليد الاجتماعية المتغلغلة في حياة الجاهلية والمتلبسة في نفوسهم .. وان أول مرحلة في علاج هذه الأفات الخطرة كانت في سورة النحل .. ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً أو رزقاً حسناً ... والمرحلة الثانية في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما .. وأما المرحلة الثالثة كانت في سورة النساء .. يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .. والصلوات الخمسة معروفة بضيق الوقت بينهما .. وفي هذا تضييق لفرص مزاولة شرب الخمور .. وعلى المسلم أن يصلي صلاته في أوقاتها .. ولقد كانت عادة شرب الخمور في الجاهلية .. صباحاً تسمى صبوحية .. وبعد العصر أو المغرب .. وفي شرب الخمر ولعب الميسر يقع العداء والبغضاء .. فالمقامرون يحقدون على أنفسهم أكثر بعد شرب الخمر .. وخاصة ذاك المغامر الذي خسر أمواله مع طرف آخر لا بد أن يمتلىء حقداً عندئذ تقع الخلافات والجرائم .. الخ .. وهذه الغاية التي تنتج عن شرب الخمور .. وأما الأنصاب والازلام فهي وسيلة من الوسائل التي تبعد الانسان عن الحق والهداية والايمان والصراط المستقيم ..

الانصاب : حجارة حول الكعبة كانت سابقاً يعظمونها ويذبحون لها الذبائح في الجاهلية .. وأما الازلام .. قداح معلمة معروفة في الجاهلية كانوا يضربون بها ليستفتوا في أمر ما ...

إذاً . . ان قول جبريل عليه السلام لسيدنا رسول الله ﷺ ﴿هديت الفطرة﴾ . . أي : : أنك لم تأخذ حاجة من حاجات الله سبحانه وتعالى وأدخلت عليها عملية افساد . . خذ الحاجة وأدخل عليها عملية اصلاح . . كاللحم النيء مثلاً انضاجه . . والخضار أيضاً طهيه . . لكن أن تأخذ عنباً وتضعه في برميل يتعفن ويتخمر . . فكأنك اخرجته عن طبيعته . . وعن فطرته . . ان ذلك معنىٰ : ﴿هديت الفطرة﴾ . . ولماذا هذا المرئي . . ؟ . . قالوا : لأن العقل هو منفذ التكليف من الله سبحانه وتعالىٰ والخمر جاءت لتستر العقل . . لأن المدخل الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ هو العقل التكليفي . . فالمجنون لا يكلفه الله سبحانه وتعالىٰ . . لأن آلة الاختيار بين البديلات معطلة . . ومعنىٰ عقل . . أن يختار بين بديلات . . فاذا كان أمر لا بديل له . . فلا عمل للعقل فيه . . وما دام وجد الاختيار بين البديلات فلا بد أن يكون العقل موجوداً سليماً ومقاييسه صادقة وذلك حتىٰ تختار البديل وهو ﴿الخير﴾ . . ولا تختار البديل ﴿الشر﴾ . . يأتي الانسان إلىٰ مناط التكليف له من الله سبحانه وتعالىٰ . . وبعد ذلك يشرب الخمر ليستر عقله . . فكأنه عمد الىٰ النعمة الكبرىٰ . . ومنفذه إلىٰ الأيمان بالله سبحانه وتعالىٰ . . ومنفذه للتكليف عن الله سبحانه وتعالىٰ يعطلها . . وكل المرائي التي بعدها . . والتي تستلزم وجود العقل التكليفي فيها . . فالجهاد والزكاة والصلاة كل هذه فرائض لها شرطها . . وهو وجود العقل التكليفي . . فكأن الحق سبحانه وتعالىٰ أراد بالمنظر الأول أن يقول أن الفطرة طبيعتها سليمة . . إذا . . لا تفسدوها أنتم بتصرفاتكم . . هذا اللبن تابع الفطرة . . والخمرة أنتم افسدتموها بصنعتكم فيها . . فقد تتدخلتم فيها ببشرتيكم . . ولذلك أفسدتموها . . فبعد أن كانت نعمة الله سبحانه وتعالىٰ سليمة جعلتموها

مفسدة .. وإلىٰ ماذا وجهتموها .. إلى منفذ التكليف من الله سبحانه وتعالىٰ وهو العقل ...

ونأتي إلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ الذي يقول لنا .. أنا قد خلقت لك هذا العقل حتىٰ تختار به بين البديلات .. فاذا أتيت أنت وسترته بالخمر .. فتكون رددت علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ نعمته الكبرىٰ عليك والتي قد تميزت بها عن الحيوان ...

قد نجد الانسان الذي يفعل ذلك يقول أنني أستر همومي وأحزاني .. ولكنْ الرد عليه يكون بأن نقول له : ان المشاكل لا يحلها أن تهرب منها .. انما يحلها أن تواجهها .. فالحق لا يريد منك أن تنسىٰ مشاكلك وتهرب منها وتسترها بالخمر .. ولكن واجهها بفكرك .. وما دمت تواجهها بفكرك .. فلا بد أن تحافظ علىٰ هذا الفكر لكي يكون سليماً .. قادراً على حلها .. وذلك بأن تمنع عنه أي شيء يطمس قانون اختيار البديلات فيه .. فهذا هو السبب في أن ذلك هو أول منظر من المناظر التي رآها سيدنا محمد ﷺ ...

وبعد ذلك مثلاً نجد منظراً آخر .. وهذا المنظر الآخر انه وجد قوماً يزرعون ويحصدون فى وقتها وتتكرر هذه العملية عدة مرات .. فسأل جبريل من هؤلاء .. ؟ .. قال : المجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالىٰ .. لأن الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالىٰ هو الوسيلة الناقلة لهدىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ خلق الله سبحانه وتعالىٰ .. فالجهاد في سبيله هو الانسياح بالدعوة المنهجية التي جاءت من الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ القوم كي يهتدوا إليها .. فلا بد لهؤلاء المجاهدين أن يكون لهم ثمرات متعددة .. ولماذا الثمرات المتعددة .. ؟ .. لأنهم يجودون بأموالهم .. ويجودون بأرواحهم .. فالذي يجود بماله وبروحه عند الله

المجاهدين

سبحانه وتعالى . . نجد الله سبحانه وتعالى يخلف عليه خلفاً يناسب قدرته في العطاء . . وما دام يناسب قدرته في العطاء . . فلا بد من تجدد ثوابه . . فكلما جاهدت في سبيل الله . . وبعد ذلك تنشر الدعوة بجهادك في سبيل الله سبحانه وتعالى . . فلك ثواب من هدى بها باستمرار . . .

إذاً . . ان الرسول ﷺ حينما أراه الله سبحانه وتعالى هذه المسألة . . فقد أراه إياها ليوضح هذه الحقيقة للذين يجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه . . ولا شك أن الناس يجودون بالأشياء طمعاً فيما تأتي من الخير . . فالفلاح مثلاً يكون عنده كيسين من القمح وعندما تأتي أيام الزرع يأخذ كيساً مما عنده فينقص ما عنده كيساً . . وبعد ذلك يطرحه في الأرض . . لكن الكيس الذي طرحه في الأرض سيزيد له عشرة أكياس بعد ذلك . . وان الحبة من القمح ستأتي له بـ ٧٠٠ حبة . . فاذا كان ذلك عطاء الأرض الصماء التي هي خلق من خلق الله سبحانه وتعالى . . فكيف يكون عطاء الله سبحانه وتعالى . . !! . .

إذا . . ان الله تعالى يؤنسني بالأمر المادي . . ولذلك . . فاذا جدت أيها المجاهد بمالك ودمك . . فذلك كله عند الله سبحانه وتعالى يجود . . وإذا كانت الأعمال بنتائجها[1] . . فنتيجة هذا هو النفع العام

---

١ ـ عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي رضي الله عنه . . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات . . وانما لكل إمرىء مانوى . . فمن كانت هجرته لدينا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . . ﴾ . . متفق في صحته . . رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري . . وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رضي الله عنهما في كتابيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة . . .

لك . . .

وبعد ذلك يعرض الله سبحانه وتعالى منظراً آخر . . الدنيا . . ونحن نعرف أنها زينة وزخارف ولهو ولعب . . ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة[1]﴾ . . فالله سبحانه وتعالى عرض هذا المنظر . . منظر الدنيا . . بأنها امرأة عجوز وعليها من كل زينة . . فقال له : ما هذه يا جبريل ؟ . . قال : ﴿لم يبق من عمر الدنيا إلا ما بقي من عمر هذه﴾ . . فكأن الرسول يقول : أنا بعثت والساعة كهذه . . ولم يبق من عمر الدنيا إلا كما بقي من عمر هذه المرأة . . فاذا كان عمرها هذا . . فلماذا تشغلون أنفسكم بها هذا الشغل الكبير . . ؟ . . أعطوها على قدر عمرها . . وإذا فرضنا أنه بقي من عمر الدنيا الكثير . . فهذا الكثير لغيرك ما حظك أنت فيه . . وإذا قست الدنيا بعمرك أيضاً . . وجدت انها بقيت دنيا للكل . . ولكن لخلق غيرك . . فمهما طال أمدها . . ستمكث مليون سنة . . لكنها لا تمكث المليون سنة لك . .

إذاً . . يجب ان تقيس الدنيا بعمرك أنت فيها . . فعمرك هو عمرك . . فاذا كان متوسط عمر الانسان «٦٠ سنة» أو «٧٠ سنة» . . فاذا ضحى الانسان بهذه السنين ماذا تكون النتيجة . . ؟ . . النتيجة أنني سأضحي بشيء محدود . . لكن في غاية غير محدودة وهي الآخرة . . هذه هي أول مقارنة . . أما ثانياً فنقول : ان السبعين سنة ليست متيقنة . . فقد يموت الانسان وهو صغير . . فوجود الحياة الدنيا غير متيقن لكن الآخرة متيقن وجودها . . هذه هي المقارنة الثانية . . وأما نعيمي في

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية ـ ١٤ . . .

دنياي فعلى قدر من .. ؟ .. انـه على قدر امكانياتـي .. وعلى قدر تصوراتي في النعيم .. أما نعيمي في الآخرة فعلى قدر امكانيات الحق سبحانه وتعالى .. وتصوراته في النعيم ...

إذاً .. حينما نأتي ونقارن عمر الدنيا بعمر الانسان .. سنجد ان المقارنة ليست في صف الدنيا ..

١) إذاً .. محدود هنا .. وغير محدود في الآخرة ...

٢) غير متيقن هنا .. ومتيقن في الآخرة ...

٣) النعيم على قدر امكانياتي .. ونعيم الآخـرة على قدر امـكانيات الله ...

فاذا كانت الدنيا عجوز .. ولم يبق منها إلا هذا ولو بالنسبة لكل انسان .. فما الذي يجعلني أجعل الدنيا هي كل همي .. ؟ .. هذا هو المنظر الذي رآه رسول الله ﷺ ...

هناك منظر آخر .. أن الرسول ﷺ رأى أن هناك أناساً والمقص يقص شفاههم وألسنتهم .. لماذا .. ؟ .. قالوا : لأن الشفاه واللسان هما الأداتان اللتان يتعاونان في إخراج الكلام .. فقال له : من هؤلاء يا جبريل : قال : هم ﴿خطبـاء الفتنـة﴾ .. !! .. ومـن هم خطبـاء الفتنة[١] .. ؟ ... قال : الذين يقولـون مالا يفعلـون .. فألسنتهـم

---

١ - ورد في بعض روايات قصة الاسراء والمعراج أخبار عن رؤية النبي ﷺ جزاء طائفة من مرتكبي الذنوب والكبائر وعقابهم - ولم يتيسر لنا بعد تحقيق هذه الأخبار .. ولكن لقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ رأى في الرؤيا بعض هذا الجزء الذي ينتظر مرتكبي المعاصي وتعميماً للفائدة نذكر الحديث الذي ورد في ذلك ...

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه : ﴿هل رأى أحد منكم من رؤيا .. ؟ ..﴾ .. فيقص عليه من شاء أن يقص .. وانه قال لنا ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان .. وانهما قالا لي : انطلق .. وإني انطلقت معهما .. وإنا =

أتينا على رجل مضطجع . . وإذا آخر قائم عليه بصخرة . . وإذ هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه . . فيتدهده الحجر ههنا . . .فيتبع الحجر فيأخذه . . فلا يرجع إليه حتىٰ يصح رأسه كما كان . . ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولىٰ . . ! ! . . قال : قلت لهما : سبحان الله . . ما هذا . . ؟ ؟ . . قالا لي : انطلق . . انطلق . . فانطلقنا فأتينا علىٰ رجل مستلق لقفاه . . وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد . . وإذ هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه الىٰ قفاه . . ومنخره الى قفاه . . وعينه إلىٰ قفاه . . ثم يتحول الىٰ الجانب الآخر . . فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول . . فما يفرغ من ذلك الجانب حتىٰ يصح ذلك الجانب كما كان . . ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولىٰ . . ! ! . . قال : قلت : سبحان الله . . ! ! . . ما هذا . . ؟ . . قالا لي : انطلق . . انطلق . . فانطلقت فأتينا علىٰ مثل التنور . . فأحسب أنه قال : فاذا فيه لغط . . وأصوات . . فأطلعنا فيه . . فاذا فيه رجال ونساء عراة . . وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم . . فاذا أتاهم ذلك اللهب ضو ضوءا . . قلت : ما هؤلاء . . ؟ . . قالا لي : انطلق . . انطلق . . فانطلقنا فأتينا علىٰ نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم . . وإذا في النهر رجل سابح يسبح . . وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة . . وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح . . ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة . . فيفغر له فاه فألقمه حجراً . . فيسبح ثم يرجع إليه . . كلما رجع إليه ففغر له فاه فألقمه حجراً . . قلت لهما : ما هذان . . ؟ ؟ . . قالا لي : انطلق . . انطلق . . فانطلقت فأتينا علىٰ رجل كريه المرآة - أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأىٰ - فإذا هو عنده نار يحشها ويسعىٰ حولها . . قلت لهما : ما هذا . . ؟ . . قالا لي : انطلق . . انطلق . . فانطلق فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع . . وإذا بين ظهري الروضة رجل لا أكاد أرىٰ رأسه طولاً في السماء . . وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط . . ! ! . . قلت : ما هذا . . ؟ . . وما هؤلاء . . ؟ . . قالا لي : انطلق انطلق . . فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن . . قالا لي : أرق فيها . . فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة . . فأتينا باب المدينة . . فاستفتحنا . . ففتح لنا . . فدخلناها . . فتلقانا رجال . . شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ . . وشطر منهم كأقبح ما أنت راءٍ . . !! . . قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر . . وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض . . فذهبوا فوقعوا فيه . . ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم . . فصاروا في أحسن صورة . . قال : قالا لي : هذه جنة عدن . . وهذا لا منزلك . . فسما بصري صعداً . . فاذا قصر مثل الربابة البيضاء . . قالا لي : هذاك منزلك . . ؟ . . قلت

دعوة . . هم خطباء الفتنة فيها . . يقولون كلاماً يسمعه الناس . . ولهم فعل يخالف ما يقولون . . فيقارن الناس فعلهم بقولهم . . فيعلمون أن هناك كلاماً يقال . . وفعل يفعل . . وإذ انفصلت الكلمة عن السلوك . . انقلبت المناهج كلها . . فاذا جلست أشرح لابني مضار الكذب وأحدثه عن الصدق يومياً . . فاذا جئت في يوم وطلبني شخص فأنا بالبيت وكان ردي عليه بأنني غير موجود . . هذا الفعل يهدم كل شيء من قولي . . وبعد ذلك يستقر في وجدان الابن . . .

إذاً . . ان هناك كلاماً يقال . . وفعلاً يفعل . . وبذلك انفصلت الكلمة عن السلوك . . وأيضاً . . ان خطباء الفتنة هم الذين يبررون للناس تصرفاتهم . . فيجعلون الدين مبرراً لتصرفاتهم . . بمعنى : ان التصرف يكون أولا . . ثم يطلبون له مبرراً من الدين . . والدين ليس تبرير . . ولكنه دين تدبير للمسائل . . هو الذي يدبر الأمر أولاً . . فلا

لهما : بارك الله فيكما . . فذراني فأدخله . . قالا . . أما الآن فلا . . وأنت داخله . . قلت لهما : فاني رأيت منذ الليلة عجباً . . ؟ . . فما هذا الذي رأيت . . ؟ ؟ . . قالا لي : أما إنا سنخبرك : أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه . . وينام على الصلاة المكتوبة . . وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه . . ومنخره إلى قفاه . . وعينه إلى قفاه . . فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق . . وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني . . وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر . . ويلقم الحجارة . . فانه آكل الربا . . وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار . . يحشها ويسعى حولها . . فانه مالك خازن النار . . وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه إبراهيم . . وأما الولدان الذي حوله فكل مولود مات على الفطرة . . وفي رواية البرقاني : ﴿ولد على الفطرة﴾ . . فقال بعض المسلمين : يا رسول الله . . وأولاد المشركين . . ؟ . . فقال رسول الله ﷺ ، ﴿وأولاد المشركين﴾ . . وأما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن . . وشطرٌ منهم قبيح . . فانهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم . . .

رواه البخاري

الكذب
الزنا
مالك
ابراهيم
من خلطوا الصالح بالسيء

تقول أن المجتمع حلت به البلوى . . وبعد ذلك تحاول من الدين أن يجد لك حلاً لبلاء المجتمع . . فكأنك ستهبط بمنهج السماء إلى الأرض . . والمفروض أن منهج السماء جاء ليرفع الناس إلى مستواه . . ولذلك تجد في كل كلام الله سبحانه وتعالى الدعوة إلى السمو . . .

ماذا يقول : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا﴾[1] . . ﴿تعالوا﴾ معناها : أقبلوا . . نعم هي تحمل هذا المعنى . . لكن ﴿تعالوا﴾ هنا معناها ارتفعوا إلى المستوى الأعلى لتأخذوا المنهج من الله سبحانه وتعالى . . لا تتركوا أنفسكم في حضيض بشريتكم . . ولا في حضيض مدنيتكم . . .

إذاً . . ان خطباء الفتنه هم الذين يقولون مالا يفعلون . . أو هم الذين يبررون لكل منحرف انحرافه . . .

---

١ ـ قل يا أهل الكتاب . . جاءت في القرآن الكريم في كل من السور الآتية ذكرها وضمن ستة آيات . . آل عمران ـ ٦٤ ـ ٩٨ ـ ٩٩ . . . وسورة المائدة ـ الآيات . . ٥٩ ـ ٦٨ ـ ٧٧ . . .
قل : يا محمد قل لهم : يا أهل الكتاب لم تحاجون فيما ليس لكم به علم . . ؟ . . والله يعلم وأنتم لا تعلمون . . وهذا معناه مجابهة أهل الكتاب بحقيقة موقفهم السلبي . . الذي يدارونه بمظهر الايمان والتدني . . بينما هم في حقيقتهم كفار . . فهم يكذبون بآيات الله القرآنية . . ومن يكذب بشيء من الكتاب فقد كفر بكتاب الله سبحانه وتعالى كله . . فحقيقة الدين واحدة . . وهم يدركون بأن ما جاء به محمدﷺ حق لامراء فيه . . وما عليهم إلا السمو والارتفاع لرؤية الحقيقة . . والسمو والاتفاع لا يكون بأجسادهم بل بأفكارهم التي توصلهم الى الحق والحقيقة وتكشف لهم البواعث التي تدفعهم إلى الضلال والتكذيب والاشراك بما انزل من عند الله سبحانه وتعالى . . إذاً . . ارتفعوا سمواً بأفكاركم ولا تتخذوا هذا الدين خاتم الأديان بارادة الله وقد تممه نعمة على البشرية لا تتخذوه حزواً ولعباً . . واتقوا الله سبحانة وتعالى ان كنتم تعقلون . . ولكن قاتل الله الحسد الكامن . . والعراء الباطن الذي تغلغل في نفوسكم . . وما الله بغافل على خبايكم وسيجازيكم على ما تعملون . . .

مثال : يأتي مثلاً في الربا[1] .. ويبرره أحدهم .. ولكن .. نحن نقول له : ان منهج الله لا يهبط الىٰ مستوى فعل البشر .. وإلا فسيكون المجتمع البشري هو الذي يقنن .. وبعد ذلك نهبط بمنهج السماء الىٰ مستوى تقنين الأرض ...

▲ ▲ ▲

---

١ - الربا: تعريفه في اللغة «الزيادة» والمقصود به زيادة رأس المال.. وأما حكمه فهو محرم في جميع الأديان السماوية .. ومحظور في اليهودية والمسيحية والاسلام ..

جاء في العهد القديم ما يلي : إذا أقرضت مالاً لأحد من أبناء شعبي فلا تقف منه موقف الدائن .. لا تطلب منه ربحاً لمالك ..

سفر الخروج آية ٢٥ - فصل - ٢٢ ...

وجاء في العهد الجديد أيضاً ما يلي :

إذا اقرضتم لمن تنتظرون منه المكافأة .. فأي فضل يعرف لكم .. ؟ .. ولكن افعلوا الخيرات واقرضوا غير منتظرين عائدتها .. وإذن يكون ثوابكم جزيلاً .. انجيل لوقا آية ٣٤ - ٣٥ - فصل - ٦ ...

ولقد اتفقت كلمة رجال الكنيسة على تحريم الربا تحريماً قاطعاً استناداً إلى هذه النصوص ..

ويقول اسكوبار : ان من يقول ان الربا ليس معصية يعد ملحداً خارجاً عن الدين ..

ويقول الأب بوتي : ان المرابين يفقدون شرفهم في الحياة الدنيا .. وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم ...

والقرآن الكريم تحدث عن الربا في عدة مواضع مرتبة ترتيباً زمنياً ولقد لعن الله سبحانه وتعالىٰ كل من اشترك في عقد الربا .. فلعن الدائن الذي يأخذه .. والمستدني الذي يعطيه - والكاتب الذي يكتبه .. والشاهدين عليه ... وروى البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ قال : لعن الله آكل الربا ... ومؤكله وشاهديه وكاتبه ...



المرائي والصور

سؤال :

نرجو أن نبدأ من حيث انتهينا فيما سبق . . وهو موضوع المرائي أو الصور التي شاهدها رسول الله ﷺ في رحلة الاسراء . . وهل يمكن أن

يحدثنا فضيلة الشيخ على بعض هذه الصور من تخيير الرسول ﷺ بين الخمر واللبن . . ؟ . . واختياره الفطرة ـ ! ! . . حيث اختار اللبن . . ثم المجاهدون . . والصور التي تبين ثواب المجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى . . وكذلك خطباء الفتنة . . وقد بقيت أيضاً صور أخرى . . كما بقيت بعض الموضوعات التي تتعلق بالصلاة . . وفرضها في المعراج . . والأنبياء الذين قابلهم سيدنا رسول الله ﷺ . . ولقد قلنا أن هذا الموضوع مهم جداً . . وقد يكون خطيراً . . وأرى أن البعض يجب ان يناقشه . . وعلى سبيل المثال موضوع أن أغلبية الأنبياء الذين قابلهم رسول الله ﷺ هم من أنبياء بني إسرائيل . . ونخص بالذكر ما زعمه البعض من أن تردد الرسول ﷺ بين موسى وبين ربه عز وجل . . ونصيحة موسى عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ وهي الطلب من الله سبحانه وتعالى في تخفيف الصلوات الخمسين التي فرضت حتى أصبحت خمس صلوات وهل لك يا فضيلة الشيخ أن تحدثنا عن ذلك باسهاب حيث يظن البعض ان هذا يعني نوعاً من الوصاية من سيدنا موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ . . هذه بعض الموضوعات التي

رجونا أن نناقشها وحبذا أن نبدأ بموضوعنا الأول عن بقية المرائي سواء ما يتعلق منها بالمال أو العرض أو التكليف .. وبالصلاة وما سوىٰ ذلك ...

جواب :

بسم الله الرحمن الرحيم .. والحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه وتعالىٰ . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ...

وبعد فقد انتهينا في الكلام السابق إلىٰ ما انتهينا إليه من عرض بعض المرائي التي أريها رسول الله ﷺ في الأسراء .. أو رآها ﷺ في المعراج .. وفهمنا الاراءة والرؤية في سياق ونطاق سبحانية الحق .. وسبحانية الحق التي تتنزه في الله وذاته .. وتتنزه في فعل الله .. وتتنزه في صفات الله سبحانه وتعالىٰ .. وبعد ذلك عرضنا لبعض المرائي .. وقلنا ان هذه المرائي جعلها الله سبحانه وتعالىٰ كوسيلة الايضاح بالنسبة لبعض الأمور العظيمة التي تتعلق بالدعوة وبدأناها بأمر الفطرة .. لأن التدين أو الاسلام أو معيشة الحق هو دين الفطرة .. وكل ما يطرأ في دين أو غفلة مما يكون في صناعة البشر وافسادهم كما يفسدون العنب فيجعلونه خمراً .. وبعد ذلك تكلمنا عن الانسياح بدعوة الفطرة في الجهاد .. ثم تكلمنا عن عمر الدنيا .. وهو الموضوع الذي يشغل كثيراً من الناس في حياتهم .. وبعد ذلك يأتي المرائي الأخرىٰ .. وهي مركزة حول معاني تتعلق بالمال .. وتتعلق بالأعراض .. وتتعلق بالكلمة .. أما الذي يتعلق بالمال .. فان الحق سبحانه وتعالىٰ عرض علىٰ رسول الله ﷺ آية .. هذه الآية أنه رأى قوماً يسبحون في بحر من دم .. ثم مع ذلك يلقون الحجارة .. فسأل عنهم أخاه جبريل .. فقال : هؤلاء آكلة

الربا

الربا ـ والصورة الرمزية . . في أنهم يسبحون في بركة من الدم . . والدم يفيد وينفع حين يكون سارياً في شرايينك وأوردتك . . ولكنه حين يخرج ويصبح شيئاً ثقيلاً يثبط من يسبح فيه . . فلم يعد له فائدة . . فالـذي يسبح في بركة من الـدم . . ومع ذلك يلقـم الحجـارة فكأنـه نقـل الأوضاع . . والمفروض أن الدم ينفع في جوفه . . لا أن يسبح فيه . . ومع ذلك يلقم الحجارة . . إذاً . . لم يغنه الدم الـذي يسبـح فيه على غذائه الأساسي . . بل هو قد استعاض عن الغذاء الأساسي وهو الدم بأن يلقم الحجارة . . وذلك أمر طبيعي . . لأن ما معنىٰ المراباه . . المراباه أن تستغل فرصة عدم معدوم . . وفقر فقير لتزيد أنت من مالك . . معنىٰ ذلك أنك قد جعلت نفسك كل شيء . . وجعلت أنانيتك في الانتفاع هي كل شيء . . لماذا . . ؟ . . لأن الحق سبحانه وتعالىٰ حينما جعل الأرض مباحة لجميع الناس يعملون فيها طاقاتهم المخلوقة لله سبحانة وتعالىٰ . . بعقولهم المخلوقة لله . . أي . . انك تكدح في المادة المخلوقة لله بالفكر الذي خلقه الله . . وبالقوة والطاقة التي خلقها الله . . فلا أقل من أن تجعـل الله مضاربـاً معـك . . بمعنـىٰ أن لله رأس المال . . ولك أنـت العمل . . وأنت ليس لكِ عمل . . أنت فكر تخطط به من فعل الله . . وأرض تحصد فيها من خلق الله . . وطاقة وقوة تعمل بها من خلق الله . . وبعد ذلك تكتسب شيئاً . . لا أقل من أن تتصدق علىٰ المعدم الـذي لا يجد القوة التي يعمل بها . . أو الذي لا يجد المجال ليعمل به . . أو الذي لا يجد الفكر ليخطط . . لا أقل من أن تعـطيه شيئـاً من مال الله سبحانه وتعالىٰ الذي آتاك إياه . . فكونك تستغل ضعف المعـدم وفقـره لتزداد أنت شيئاً من الغنىٰ . . هذا هو الظلم الفاحش . .

إذاً . . ان الله سبحانه وتعالىٰ ضرب مثلاً حتىٰ يبين للناس أنهـم

بعملهم هذا لن يستفيدوا منه شيئاً .. وأنهم سيكدسون دماء لا لتجري في عروقهم .. ولكن ليسبحوا فيها .. فانظروا من يسبح في دم .. ما فائدته منه .. ومع ذلك في غذائه الحقيقي يلقم الحجارة .. هذه صورة من صور الربا التي عرضها الله سبحانه وتعالىٰ ...

وبعد ذلك تكلم عن الأعراض .. والأعراض هي المادة الشهية الحلوة لكثير من خلق الله سبحانه وتعالىٰ .. والناس مشغولون باثنين .. بالأموال يحبون أن يجمعوها .. وبأعراض الناس ليأكلوها .. إذاً فالمال والعرض هما موضوع الفساد في الأرض .. والحق سبحانه وتعالىٰ عرض مسألة الأعراض .. ومن العجيب ان الغيبة التي تعرض لها الحق سبحانه وتعالىٰ في إراءته لرسول ﷺ .. لقد رأىٰ ثلاث صور .. رأى مرة قوماً لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم .. فسأل عنهم .. فقيل : الذين يغتابون الناس .. ورآهم مرة أخرىٰ يأخذون قطعاً من لحومهم فيأكلونها .. ورآهم مرة ثالثة يأخذون لحماً منتناً من الناس فيأكلونه .. فعرضها في ثلاثة مرائي .. هذه المرائي كانت لتضخيم فظاعة هذا الجرم .. وهو أن يغتاب الانسان أخاه الانسان .. ﴿في عرضه﴾ وبعد ذلك كونه ميتة بمعنى أنه لو كان حياً .. كان يمكنه أن يدافع عن نفسه .. ولكن :. لجبنه وضعفه جعله كالميت الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه .. وبعد ذلك عرض الحق سبحانه وتعالىٰ لنا صورة أخرىٰ .. وهي : صورة الزنا .. تلك الصورة البشعة .. عرض الله سبحانه وتعالىٰ عليه شيئاً .. قوم أمامهم لحم طيب .. يتركون هذا اللحم الطيب .. ويذهبون إلىٰ لحم خبيث منتن غير ناضج .. فسأل عن ذلك .. فقال : الرجل تكون عنده المرأة من الحلال .. فيتركها ويذهب الى المرأة الحرام .. أو المرأة يكون عندها الرجل في الحلال ..

الغيبة

الزنا

فتدعه عنه . . وتذهب الىٰ الرجل من الحرام . . .

وأيضاً صورة أخرىٰ . . وهي صورة الكلمة يقولها الانسان . . ونحن نسمع في الأدب . . ﴿أنا ان لم اتكلم بالكلمة ملكتها . . وان تكلمت بها ملكتني﴾ . . فحين اتكلم بها لا أقدر على ردها ثانية . .

كذلك عرض الحق سبحانه وتعالىٰ هذه الصور . . فوجد ثوراً عظيماً قد خرج من حجر . . ويريد ذلك الثور أن يدخل ذلك الحجر مرة ثانية فلا يستطيع . . فسأل رسول الله ﷺ جبريل . . فقال هذا . . مثل الرجل يقول الكلمة . . ثم يحاول أن يرجع فيها فلا يستطيع . . وبعد ذلك عرض علىٰ رسول الله ﷺ شيء آخر . . رجل يحمل حملاً لا يقدر عليه . . ومع ذلك يمد يده إلىٰ شيء آخر ليضعه حملاً علىٰ نفسه . . فسأل عن ذلك . . فقال : هؤلاء هم الذين يحملون الأمانات . . يعجزون عن ادائها . . ومع ذلك يحبون أن يزيدوا على ظهورهم حملاً . . وهم لا يقدرون أن يحملوا ما معهم . . .

ان كل تلك المرائي التي رآها رسول الله ﷺ مثلاً توضيحية لكي يتبين للمؤمن كيف يكون جزاء مثل هؤلاء ـ وكيف تكون آخرتهم حتىٰ يبشع لهم بهذه المناظر هذه الأشياء . . فيتخلوا عنها ولا يرتكبوها . .

ومن المناظر التي رآها . . رأىٰ قوماً يرضخون رؤوسهم بالحجارة . . وكلما رضخت عادت كما كانت . . لا يفتر عنهم . . تضرب رؤوسهم بالحجارة فتتحطم . . ثم ترد مرة أخرىٰ ثم ترضخ . . فقال : من هؤلاء يا جبريل . . ؟ . . فقال : هؤلاء هم الذين يتكاسلون عن الصلاة . . والظاهر لنا أنهم يضربون الرؤوس . . لأن التثاقل عن الصلاة ليس إلا عملية فكرية . . ومعنىٰ عملية فكرية . . أن الانسان إذا ركز كل طاقاته وكل امكانياته بحيث يؤديها . . يؤديها مهما

كانت ظروفه . . ومهما كانت شواغله . . ومهما كانت الموانع التي تمنعه . . ولكن الانسان يبرز لنفسه ترك الصلاة بأسلوب يختاره . . الحرص على المصلحة . . ضيق الوقت . . عدم القدرة . . كل شيء من هذا القبيل . . فكأن الفكرة التي توحي للانسان بأن يتكاسل عن الصلاة . . انما هي فكرة تنبت في رأسه . . فالرأس الذي سول للانسان أن يتكاسل عن أداء الصلاة هو الذي يستحق هذا الجزاء . . ويجب أن يرضخ بالحجارة . . وليته يرضخ مرة وينتهي ويموت . . ولكن . . لا يفتر عنه . . ومعنى لا يفتر عنه . . أنه يعود ثانية ليضرب مرة أخرى . . وهكذا . . فيبقى كذلك في عذاب إلى يوم القيامة . . .

▲ ▲ ▲

فرض الصلاة

سؤال :

أنا أريد الآن أن أسأل في موضوع الصلاة .. هو سؤال ربما يتبادر إلى أذهاننا جميعاً .. وهو : ان الصلاة فرضت في المعراج .. وهذه الصورة يراها رسول الله ﷺ قبل أن تفرض الصلاة على أمته .. طبعا .. انه نفس التساؤل يمكن أن يكون مطروحاً بالنسبة لآكل الربا .. وآكل مال اليتامى .. والصورة الأخرى التي تدل على تشريعات اجتماعية في المجتمع الاسلامي .. لم تكن قد فرضت بعد .. لأنها ستفرض بعد ذلك في المدينة المنورة بعد الهجرة .. ولكن .. سنجتزي بالمثال الخاص بالصلاة .. ونذكر كل العبادات .. وكل الفروض والأوامر التي نزلت في الاسلام .. انما كانت بوحي من الله تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام .. لكن الصلاة بالذات لم تكن عن طريق جبريل .. فهي العبادة الوحيدة التي بلغتنا ولفتت انتباهنا أنها تفرض من الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ فهل لهذا دلالة معينة .. ؟ .. هذه نقطة هامة نحب أن يجيب عليها فضيلة الشيخ متولي شعراوي ...

جواب :

أما مسألة المرائي التي أريها رسول الله ﷺ لأمور لم تكن شرعت في الاسلام لأن تشريعها سيتأخر . . فالعلم عند الله سبحانه وتعالى في المسائل ليس مترتباً . . بأن يعلم شيئاً يقع أولاً . . وبعد ذلك شيء يقع ثانية . .

وانما كل الكون بما كان ويكون معلوم لله سبحانه وتعالى دفعة واحدة . . وكأن الحق سبحانه وتعالى أمده بنهايات هذه الأشياء حتى إذا ما استقبلت تكليفاً . . أقبل الناس عليها بشغف وبلهفة وبشوق . . لماذا . . ؟ . . لأنهم علموا مسبقاً ماذا يكون جزاء من يخالف منهج الله سبحانه وتعالى في هذه الأشياء . . فالأشياء ثابتة عند الله تبارك وتعالى . . ولكن العلم . . علمنا نحن الذي فيه الترتيب . . فنعلم تكليفاً . . ونعلم جزاءاً بعد ذلك . . ولكن علم الله تعالىٰ في التكليف . . وعلم الله تعالىٰ في الجزاء لا ترتيب فيه أبداً . . بل كل شيء عند الله هو . . هو . . فاذا كان الله تعالىٰ قد عرض لنا صورة لشيء سيكلفنا به فيما بعد . . فلأن الواقع في الجزاء عنده هو هذا ولم يتغير ولم يتجدد فيه شيء آخر أبداً . . ولذلك يجب أن نفطن إلىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ حينما يتكلم عن أمر مستقبل يتكلم عنه لا بصفة الاستقبالية . . فصفة الاستقبالية يأخذها البشر بزمانهم فقط . . أما بالنسبة للحق سبحانه وتعالىٰ فلا استقبال . . ولا حال ولا ماضي . . ولذلك تجد هذا واضحاً في قول الحق سبحانه وتعالىٰ : ﴿أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه[1]﴾ . . لو أن هذا الكلام من عند غير الله سبحانه وتعالىٰ لقلنا . . كيف يقول ﴿أتىٰ﴾ وبعد ذلك يقول ﴿لا تستعجل﴾ وهل تستعجل إلا ما لم يأت . . ؟ . . لا . . حين يقول له ﴿أتىٰ﴾ في أمر ما يأت أو سيأتي . . فكأنه آت لامحالة . . فلا زمن عند الله تعال . . فكذلك هذه الأشياء وان كانت ستأتي بعد ذلك . . والمخالفون سيأتون بعد ذلك . . إلا أن الله أعد لهم ذلك الجزاء . . وان كان قبل أن يوجد التكليف . . .

أما مسألة الصلاة .

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية ـ ١ . . .

هنا بحث يجب أن نبحثه وهو أنهم حدثوناً أن رسول الله ﷺ صلى إماماً بالأنبياء في بيت المقدس قبل أن يعرج .. والصلاة فرضت بعد العروج .. ؟ .. فنقول لهم : نعم .. الصلاة بشكلها الاسلامي النهائي .. لأن الصلاة موجودة مع كل رسول .. وعندأتباع كل رسول .. ولذلك ان الحق سبحانه وتعالى حينما يقول لابراهيم : ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم[1]﴾ .. ماذا يقول بعد ذلك .. ؟ - يقول : ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود[2]﴾ .. إذاً فهناك ركع .. وهناك سجود .. من يوم أن خلق الله الرسالة ومن يوم أن خلق الله التكليف .. وأيضاً في سورة مريم .. ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين[3]﴾ .. وفي آية أخرى : ﴿ ... ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم .. ربنا ليقيموا الصلاة[4] ..﴾ .. فكأن فيه صلاة ولكن لا كالصلاة الاسلامية .. فالصلاة الاسلامية خاصيتها أنها جمعت ميزات كل صلوات الرسل .. فصلوات الرسل كانت في بعض الأزمنه غدوة .. عشية .. ركعتين في أول النهار .. وركعتين في آخر النهار .. شكل خاص في القيام .. وشكل خاص في الركوع .. وشكل خاص في السجود .. فلما جاءت صلاة الاسلام .. أخذت كل ميزات الصلاة .. ولم يأخذ رسول الله من الرسل السابقة العدد الذي فرض على أمة محمد ﷺ بذلك التوزيع

الصلاة غدوة

1 - سورة البقرة - الآية - ١٢٧ ...
2 - سورة الحج - الآية - ٢٦ ...
3 - سورة آل عمران - الآية - ٤٣ ...
4 - سورة إبراهيم - الآية - ٣٧ ...

الزمني . . خمسة أوقات في اليوم والليلة . . ولذلك نجد أن سيدنا موسى استكثر هذا . . وسنتكلم عنه فيما بعد . . إذاً . . كانت هناك صلاة . . ولكن الصلاة التي فرضت . . هي الصلاة الجامعة لكل مزايا الصلوات المتقدمة عند الرسل السابقين عليهم الصلوات والسلام ـ وخاصة أنه لم توجد صلاة عندهم اسمها صلاة العشاء التي جاءت فقط لرسول الله ﷺ . . .

بعد ذلك نقول : ان التكليفات التي يكلف الله بها عبادة بواسطة الرسل . . هي تكليفات تنظيم حركة حياتهم من ناحية مجتمعهم ومن ناحية سياستهم واقتصادهم واخلاقهم . . وان الاقبال علىٰ هذا المنهج لا بد أن يكون بدافع أن الله تعالىٰ هو الذي أمر به . . لماذا . . ؟ ؟ . . لأن البشر لهم في مثل هذه الأمور تشريعات اجتماعية وخلقية فما الذي يجعلني أرغب على تشريعات البشر إلىٰ تشريعات الحق سبحانه وتعالىٰ . . ؟ . . لأنني آمنت بأن الحق سبحانه وتعالىٰ هو الاله الذي يعبد وحده . . ويجب أن أتلقىٰ تكاليفي منه . . إذاً . . ان الحق تعالىٰ الذي ايماني به هكذا يطلب مني أن استحضره كل يوم لأظل دائماً في ربانية العزة . . وأظل في عبودية لهذه الربانية . . فالصلاة هي الشحنة التي تشحن المؤمن ليقبل علىٰ أوامر ربه بجد واجتهاد . . ولأن هذه الشحنة هي الأساس الذي سيحرك هذا ﴿الموتوسيكل﴾ الانساني . . .

لقد كانت الصلاة بالنسبة للفرضية تختلف عن كل الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة . . وقلت ان الرئيس حينما يكتب الىٰ مرؤوسه كتاباً فيكون أمراً عادياً . . فاذا كان الأمر أهم . . استدعاه عنده . . وقال له : افعل كذا . . وكذا . . فهو لم يستدعه إلا لأن هذا أمر بالغ الأهمية . . وأيضاً : لأن رسول الله ﷺ جُعل له المعراج تكريماً لقربه من

حضرة ربه ـ وما دام تكريماً لقربه من حضرة ربه . . ومحمد ﷺ مبعوث رحمة للعالمين جميعاً . . وحرصه على أمته حرص شديد . . لم يشأ الله تعالى في مقام قربه منه الا أن يرده بما يقرب المؤمنين برسول الله ﷺ من الله سبحانه وتعالى . . فكانت الصلاة هدية القرب للقرب . . .

وأما المعراج فقد كان تكريماً لرسول الله ﷺ لأنه كان قرباً من الله سبحانه وتعالى . . لم يستأثر رسول الله ﷺ وحدة بالتكريم . . مع أنه يحب أمته . . لا . . لا بد أذن يرجعه بتحفة الله تعالى وبهدية الى من يؤمن به . . لتكون وسيلة الى القربى . . ولذلك يقول الحق . . ﴿. . . واسجد واقترب[1]﴾ . . فكأن السجود الذي هو أظهر مظاهر الخضوع في الصلاة . . وهو الذي يقرب الانسان إلى الله تعالى . . ذلك القرب الذي اقتربه رسول الله من ربه . . فكأن الله سبحانه وتعال . . حيا محمد ﷺ حين قربه منه في الملأ الأعلى بأن حمله هدية . . وحمله تحفة يحملها الى المؤمنين برسول الله . . لتكون لهم حظاً في القرب من الله . . كما كان لرسول الله حظه في القرب منه . . .

وأيضاً . . لأن الصلاة المفروضة من الحق سبحانه وتعالى كما قلنا ليس لها عمل إلا أن تقربك من الحضرة الالهية . . ولتوضيح معنى أن تقربك من الحضرة الالهية . .

نقول :

ان الانسان صناعة الله تعالى . . فالله تعالى هو صانعه . . وهي صنعة تقف أمام مهندسها وصانعها الذي صنعها . . كل يوم خمس مرات . . فلا بد أن تكون على أوفى شيء من الضبط . . وقلنا ان المهندس من البشر يصلح الآلة بشيء مادي يصنعه فيها . . ولكن الحق

---

١ ـ سورة العلق ـ الاية ـ ١٩ . . .

سبحانه وتعالىٰ لأنه غيب يصلح عبده الذي يقف بين يديه في لحظة القرب هذه بأمر غيبي أيضاً .. وليس بعملية مادية .. فتخرج من مقام ربك وأنت ترىٰ كيف ارتحت .. وكيف تبددت همومك .. وكيف قويت طاقة إيمانك ...

إذا .. ان الصلاة هي التي تعلم الانسان كي يقبل علىٰ التكاليف .. وإذا كان الاسلام قد بني علىٰ خمس ...

١ ـ شهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله ..

٢ ـ اقامة الصلاة ...

٣ ـ ايتاء الزكاة ...

٤ ـ صوم رمضان ...

٥ ـ حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ...

نأتي لنرىٰ هذه الأركان .. قد لا توجد هذه الأركان إلا في بعض الناس .. صحيح هي أركان الاسلام .. ولكن ليست هي أركان المسلم .. بمعنىٰ : ان المسلم قد يكون فقيراً لا يزكي .. فيسقط عنه فرض الزكاة .. والمسلم قد يكون مريضاً أو مسافراً .. فلا يصوم ويسقط عنه فرض الصوم لأجل مسمىٰ .. وقد لا يستطيع الحج فيسقط عنه فرض الحج ...

إذاً هي أركان الاسلام .. وليست أركان المسلم .. لأن المسلم يعتمد أولاً علىٰ الشهادة ثم الصلاة باقامتها .. وعلى هذا فان الركن الاساسي الذي لا ينفك عن الانسان المسلم أبداً .. هي الشهادة والصلاة .. والصلاة باقامتها أيضاً لا تنفك عن المسلم أبداً حتى وهو في الحرب .. أو هو مريض لا يستطيع الجلوس .. إذ قيل انه يجب عليه أن

يؤدي الصلاة حتى ولو بقلبه[1] .. اذاً .. فلا عذر لها في السقوط أبداً .. لا مهرب ولا مفر ...

أنت مطلوب منك أن تشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ـ مرة في حياتك .. وبعد ذلك قد تصوم .. وإذا كنت غير مستطيع للحج فلا تحج .. فما الذي بقي لك من أركان الاسلام .. بقي لك الصلاة وهي الركن المكرر .. وهذا هو معنى الحديث الشريف ..

ـ ﴿الصلاة عماد الدين[2]﴾ ...

وإذا نظرت إلى الصلاة وجدتها مع كونها لا تسقط فيها كل أركان الاسلام .. لأنك لا بد في الصلاة أن تشهد الا إله الا الله وان محمداً رسول الله .. فالركن الأول مكرر فيها ..

وأيضاً إيتاء الزكاة .. ما هي الزكاة .. ؟ .. ان الزكاة هي شيء من مال يعطى للمحتاج .. أي أن تضحي بشيء من مالك .. والمال في عرف الاسلام فرع الوقت .. لأن العمل يحتاج الى وقت .. فكأنك ضحيت ببعض مالك الناتج من عملك الناتج من استغلال وقتك ..

---

١ ـ عن عمران بن حصين ... قال : قال النبي ﷺ : صل قائماً ... فان لم تستطع فقاعداً .. فان لم تستطع فعلى جنب .. أو فاوم ...

«خ ـ د ـ ت ـ ن ـ هـ»

٢ ـ ان الصلاة عماد الدين .. ولقد وعد الله تعالى بالجنة لمن يحافظ على الصلاة ـ وأوعد بالويل الذين هم عن صلاتهم ساهون .. فقال في سورة النساء الآية ١٠٣ .. فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ..

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال :. ان النبي ﷺ قال : ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته .. فان وجدت تامة ..

كتبت تامة .. وان كان انتقص منها شيء قال : انظروا .. هل تجدون له من تطوع .. ؟ .

يكمل له ماضيع من فريضة من تطوعه .. ثم سائر الأعمال تجري على حسب ذلك ... اخرجه النسائي ج ١ ص ٢٣٢ ...

والصلاة لا تأخذ من المال .. ولكن .. تأخذ من الوقت الذي يعمل فيه العمل الذي يأتي بالمال - فكأن الزكاة أخذت شيئاً من المال الناتج من العمل .. والعمل الناتج عن الوقت .. إلا ان الصلاة أخذت من الوقت نفسه .. من الأساس الأصيل ...

إذا .. حينما تأخذ من الأربعة والعشرين ساعة .. ساعة للصلاة .. يكون قد اقتطع جزءاً من الوقت فجعلته الصلاة .. كما يقتطع جزءاً من المال .. إذاً .. فالزكاة اقتطاع من المال .. والمال ناشيء عن العمل .. والعمل يحتاج الى وقت .. فالصلاة تقتطع من الوقت الأساسي .. ففيها زكاة أهم من المال .. والذي يمنع الناس عن كثير من الصلاة هو أن يقولوا .. أنها تحتاج إلى وقت .. وهذا يعطلنا عن مصالحنا .. فيكون ردنا عليهم بأن نقول لهم : كما سمى الله سبحانه وتعالى نقصان المال من الزكاة .. زكاة فهو لم يسمه نقصاناً .. ولكن سماه زكاة ونماء .. فيجب أن تستقبل أيضاً الوقت الضائع عندك في الصلاة الذي تقول عليه ضائعاً .. استقبالك الناقص يخرج من مالك .. فهو ينميه ويزيده ولا ينقصه .. فكذلك الوقت إذا ضحيت منه ببعضه .. وجعلته لله سبحانه وتعالى .. وشحنت الشخصية .. فان البركة في بقية الوقت ستعوضك كل ما قد مضى .. كما ان الزكاة نماء .. والربا محق ...

وأيضاً فيها صوم .. وما هو الصوم .. ؟ .. الصوم هو الامساك عن شهوة البطن والفرج نهار رمضان .. لكن .. أنا في الصلاة أمسك عن شهوتي البطن والفرج وعن الحركة والكلام وعن كل شيء .. إذاً .. ففيها لون من الصيام متعلقاته في المنع أوسع من متعلقات الصيام ...

وأيضاً فيها حج البيت من استطاع إليه سبيلاً . . لأنك تستحضر وأنت تصلي في بيت الله سبحانه وتعالىٰ . . فتتجه اليه . . وتتحرى عنه . . ولما كانت الصلاة هي الركن الوحيد الذي لا يسقط عن المسلم جاءت فيها كل الاركان في شهادة . . أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله . . ومن الزكاة بشيء أفيد من المال بل بالوقت الذي يأتي بالمال . . ومن صوم صمته فوق ما تصوم في رمضان . . واستحضار لبيت ربك في كل وقت من الأوقات . . فكأنك حججت بقلبك . . وان عجزت عن أن تحج بنفسك . . .

سؤال :

ماذا عن دور سيدنا موسى عليه السلام في النصح بمراجعة الله سبحانه وتعالىٰ للتخفيف عن المسلمين بانقاص الصلاة . . ؟ ؟ . .

جواب :

هنا نريد أن ندخل في الموضوع . . وهذا الموضوع هو فرضية الصلاة . . وفرضية الصلاة كانت بالمباشرة كما قلنا سابقاً لأهميتها . . والرواية التي قالت لنا ان الله سبحانه وتعالىٰ قد فرض خمسين صلاة . . وبعد ذلك ذهب رسول الله ﷺ إلىٰ موسىٰ . . فقال له : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف . . وتكرر ذلك حتى صارت خمساً . . هناك كلام أحب أن يلتفت المسلمون إليه جيداً . . وهو ان كراهيتنا لليهود يجب أن لا تنسحب إلىٰ موسىٰ عليه السلام . . يجب أن يُفهم هذا الكلام جيداً . . فلا يدخل في نفوسنا شيء علىٰ موسىٰ عليه وسلم . . لأن موسىٰ عليه السلام رسول الله سبحانه وتعالىٰ . . وموسىٰ عليه السلام من أولى العزم . . وكونه يطلب من رسول الله ﷺ أن يرجع الى ربه فيسأله التخفيف . . هل في ذلك وصاية . . ؟ . . وما نوع

الوصاية .. ؟ .. الوصاية تكون من الانسان الذي يأتي ليفرض علي أمراً أكثر .. أما الوصاية التي تأتي بالتخفيف هل توصف بأنها وصاية .. ؟ .. انه يريد أن يخفف عني أموراً يعلم هو أنني لا أطيقها ..

سؤال :

فضيلة الشيخ .. ان الرواية التي ذكرت ﴿فان امتك لا تطيق﴾ .. فكأنه يريد أن يقلل من شأن الأمة الاسلامية واحتمالها .. نحن نناقش ذلك خاصة .. وهناك رواية أخرى تقول : فان امتك ضعاف لا يطيقون أو شيء بهذا المعنىٰ .. ؟ ..

سؤال

جواب :

هذا ما يقال .. لكن حينما يقول له موسى .. أنا جربت الأمم قبلك .. لم يكن الله سبحانه وتعالىٰ قد فرض علىٰ قوم موسى عليه السلام إلا صلاتين .. صلاة بالعشي .. وصلاة بالغداة .. ومع ذلك ما قاموا بها .. فموسى عليه السلام حينما يرىٰ أمة كان معها . ومع ذلك لم يقوموا بوقتين من الأوقات .. ويقول لرسول الله ﷺ ما قاله : فهذا دليل علىٰ أنه يحب رسول الله ﷺ .. ويحب أمه رسول الله .. ولذلك يريد الا يعرضها لما تعرضت له أمته من أنها لم تستطع .. فهذه ليست شهادة بأننا ضعفاء .. وانما هو يفترض أننا قد لا نقوى علىٰ هذا .. لماذا .. ؟ .. لأنه جرب الأمم فلم تقوىٰ .. ومعنى جرب الأمم .. أي جرب في قومه .. فهذه شهادة ضد أمته .. وليست ضدنا نحن .. لأن معنىٰ ذلك أنه عرف ان أمته لم تستطع ولم تقدر .. فسحب الحكم علينا .. ما الذي جعله يسحبه علينا .. ؟ .. يقينه بما فعلته أمته ...

إذاً . . فهذا أمر ضدهم . . وليس ضدنا نحن . . .

ثم نأتي إلىٰ السؤال عن كثرة أنبياء بني اسرائيل الذين قابلهم سيدنا رسول الله ﷺ . . نقول : ان الأنبياء كما سبق أن قلنا انما جاءوا لحمل منهج الله تعالىٰ إلىٰ خلق الله تعالىٰ . . وليعالجوا أمراض البشر . . فهم الأطباء الالهيون الذين أرسلهم الله تعالىٰ ليعالجوا البشرية من علاتها . . فاذا ما كثر علىٰ أمة أطباء . . فأعلم ان أدواءها كثيرة . . فما دام أنبياء اسرائيل كانوا كثيرين فمعناه ان بلاءهم كان كثيراً . . وأن نبياً واحداً لم يكفهم . . فكان كل وقت يأتيهم نبي . . وهذا دليل على استعمال الداءات فيهم . . وأن نبياً واحداً لم يكن ليكفيهم . . ولذلك لا يؤخذ كون اليهود أكثر أنبياء على أنهم أحسن الأمم وأعظمها . . ونكرر قولنا لهم : ان الأنبياء أطباء . . وكثرتهم عند اليهود يدل علىٰ أن أمراضهم امراض كثيرة معضلة . . وان طبيباً واحداً لا يكفي . . فتعدد الأنبياء . . ومع ذلك كان ما كان منكم . . .

يأتي هنا سؤال من الأخ رياض وهو اذا كان الله قد أرادها خمسة . . فلماذا فرضها خمسين أولاً . . ؟ . .

وأقول :

ان التكليفات من الله سبحانه وتعالىٰ ليست لحاجة الله تعالىٰ إلىٰ فعلنا . . وانما هي لصالحنا نحن . . فالأساس الأصيل . . ان التكليفان لا ينتفع الله تعالىٰ بها . . وانما هو لصالحنا نحن . . فحين يكلفنا الله سبحانه وتعالىٰ تكليفاً فانه يكون لصالحنا . . ويعطينا جزاءاً نظير هذا التكليف . . وحين فرض الله سبحانه وتعالىٰ خمسين وصيرها إلىٰ خمس . . ؟ . . هل أنقص ما يريد اعطاءه من الثواب . . أم ظل الثواب خمسين . . ؟ . . نقول : لقد ظل الثواب خمسين . . إذاً . .

فالعطاء غير متناسب مع العمل فتقرير العطاء من الله تعالىٰ الخمسين . .
وظل العطاء هو العطاء . . وبعد ذلك خففت الوسيلة لا العطاء ـ فبعد
أن كانت خمسين أصبحت خمسة . . . ولكن الثواب ظل كما هو . . وكثير
من الناس يقولون . . كيف ينسخ الله تعالىٰ الحكم قبل أن نمكن من
الفعل . . ؟ . . فيكون رد فاعليهم . . ان الناس يفهمون أن مراد
التكليف من الله سبحانه وتعالىٰ انما هو فعل الشيء المكلف به . . بمعنىٰ
ان المراد من كل تكليف من الله سبحانه وتعالىٰ لخلقه أمران :

الأمر الأول : الأيمان بالتكليف وعدم رده . . .

الأمر الثاني : فعله . . .

فاذا قبلت الأول فقد أخذت شقاً من الأمر بالتكليف . . وبعد
ذلك الشق الآخر وهو الفعل . . وأنا أريد أن أوضح هذه النقطة . .
فأقول مثلاً :

ابليس عصى ربه . . وآدم عصى ربه . . لماذا طرد ابليس من رحمة
الله . . ؟ . . ولماذا تلقىٰ آدم كلمات فتاب الله عليه . . ؟ . .

نأتي وننظر إلىٰ معصية كل منهما . . فابليس عصى الله تعالىٰ في انه
رد الأمر التكليفي علىٰ الله تعالىٰ ـ فقال له : ﴿أأسجد لمن خلقت
طيناً[1]﴾ . . بمعنىٰ أن لا يعجبني هذا التكليف . . أنا خير منه . .
إذاً . . فقد رد التكليف علىٰ من . . ؟ . . علىٰ الله تعالىٰ . . لكن آدم
عليه السلام لم يرد التكليف علىٰ الله تعالىٰ . . بل اتهم نفسه وقال :
﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين[2]﴾ . . فحين كلف الله سبحانه وتعالىٰ رسوله أن تكون

---

١ ـ سورة الاسراء ـ الآية ـ ٦١ . . .

٢ ـ سورة الاعراف ـ الآية ـ ٢٣ . . .

الصلاة خمسين . . قبلها رسول الله ﷺ . . وانصاع لأمر التكليف ولم يعارض فيه . . وبعد ذلك رجع . . فيكون قبوله ﷺ كأنه أعطي شيئاً من المطلوب من التكليف . . وهوقبوله الأمر المكلف به . . وبعد ذلك فعله شيء آخر . . فالذي نسخ لا قبول التكليف . . ولكن الذي نسخ فعل الخمسين . . حيث صارت الى خمس . . فيكون الله سبحانه وتعالى قد كلف بشيء وقبل أن يمكن منه نسخة . . فنقول : انه مكن في واحدة . . ولم يمكن من الثانية . . لكن من ماذا . . ؟ . . من انه قبل أمر التكليف . . ومثال آخر :

ان الحق سبحانه وتعالى أراد من إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده وبرؤية منامية . . ماذا كان إبراهيم . . ؟ . . قال : ﴿يابني اني أرىٰ في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ . . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . . فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا[1] . .﴾ . . تقبلت الأمر بايمان ويقين وأقبلت أنت وولدك لتفعله . . فتكون قد انتهيت المسألة . . فهذا هو المراد في ابراهيم . . فكأن الأمر التكليفي يطلب منه شيئين . . .

الشيء الأول أن نؤمن به . . وأن يتلقىٰ بالقبول وعدم الرفض والرد . . وبعد ذلك فعله . . ولذلك إذا جاء واحد لم يصل . . ونقول له أنت لم تصل فهل أنت منكر للصلاة . . أم كسلان . . ؟ . . فان كان منكراً . . فنقول له : كفرت . . لماذا . . ؟ . . لأنه رد الأمر في الأول . . وان كان متكاسلاً ـ فنقول له يجب أن تصلي فأنت عاص فقط . . .

والذي يريد ان يحلل الربا ـ وهذا خطأ ـ فان قال ان الربا حرام

١ ـ سورة الصافات ـ الأيات ـ ١٠٢ الى ١٠٥

ولكنني مضطر اليه .. فانه قد قبل الحكم من الله سبحانه وتعالىٰ .. ولكن نفسه ضعفت فلم ينفذه ـ فهذا مؤمن عاص .. لكن الذي يحلل الربا ويحلل بعض صوره .. يكون قد دخل في منطقة الكفر .. لماذا .. ؟ .. لأنه لم يقبل الحكم من الله سبحانه وتعالىٰ .. ورده ...

سؤال :

فضيلة الشيخ .. هناك سؤال يمكن أن يرد إلىٰ الذهن وهو .. كيف التقى رسول الله ﷺ بالأنبياء .. وهو حي ... وهم موتىٰ .. ؟ ..

جواب :

في البدء أريد أن أقول : ان القرآن الكريم فيه آيات .. وهذه الآيات لو وقف الانسان عندها بامعان .. تعطي له الأصل الذي يعتمد عليه في إيمانه بالمرحلة .. وما حدث فيها .. مثلاً : كونه ﴿النبيﷺ﴾ يلتقي بالانبياء ويصلي بهم .. مع انه حي بقانون الأحياء .. وهم موتىٰ بقانون الموت .. ! ! .. فكيف التقىٰ الحي بقانون الاحياء .. مع الموتىٰ بقانون الموت وعملوا عملاً واحداً .. ؟ ؟ ..

نقول له :

إن الانسان منا بروحه حين تتصل به .. تتصل اتصالات مختلفة .. تتصل به وهو حي .. ولكن إلى قسمين ..

القسم الاول : تتصل به حال اليقظة وله قانون ...

القسم الثاني : تتصل به حال النوم ولها قانون ...

واليقظة والنوم هذان آيتان يتعرض لهما الاحياء .. دعنا من الأمر

الغيبي الذي في البرزخ أو ما بعد البعث . . فنحن نتكلم على المسألة الداخلة في نطاقنا نحن . . فأنالي حالتان وأنا حي . . حالة اليقظة . . وحالة النوم . . فللروح اتصال بالجسم في حالة اليقظة ولها قانونها المعروف . . وللروح اتصال بالجسم في حالة المنام . . ولها قانونها المعروف . . فإذا ما أتيت لقانون الروح مع الجسم في حالة المنام . . هل هو قانون الروح مع الجسم في حالة اليقظة . .؟ . . لا . . . ليس هو . . لماذا . .؟ . . قيل : لأنني أرى في المنام أن فلاناً يرتدي ملابس حمراء . . وآخر يرتدي ملابس خضراء . . فأنا أرى الألوان وعيني مغلقة . . فما الذي جعلني أرى الألوان بغير آلة . . مع العلم بأن عيني مغمضة وأنا نائم . . إذاً . . فهناك وسيلة من وسائل الادراك غير التي عندي . . ووسائل من وسائل الاحساس بالأشياء غير الحواس الخاصة بي . . فبمجرد خلود مادتي للنوم . . ابتدأت للروح اشراقاتها . . وتجلياتها مع الجسم . . تعطي له معاني جميلة . . وبعد ذلك الزمن ليس له سيطرة . . المرائي ليست لها سيطرة . . ولكن لها قانون خاص . . ترى مثلاً أنك نائم . . ومعك اخوتك تمرحون وتضحكون وتأكلون الطعام . . ويرى واحد آخر نائم معك على السرير أنه مع قوم يضربون وأنت لا تشد به . . وهو لا يشعر بك . . فأنت في عالمك . . وهو في عالمه . . لو أتيت وطبقت هذا القانون في ماديات اليقظة . . فلا يتحقق أبداً . . إذاً إن الحقيقة قد تبينت . .

إن اليقظة لها قانون . . والنوم قانون . . وقانون الروح في النوم أخف وأشف وأقوى من قانون الروح في اليقظة . . فإذا كان ذلك مع

---

١ - البرزخ : من برزخ . . أي هو الحاجز بين شيئين . . أو ما بين ساعة الموت إلى ساعة البعث . . .

بقاء الحياة . . فما بالك لو أن هذه المادة كلها فنيت وانتهت . . ماذا يكون القانون الذي يأتي بعد ذلك أيكون أكثف من قانون النوم أم أشف من قانون النوم . . . ؟؟ . . لابد أن يكون أشف من قانون النوم . . وتكون فيه المرائي . . وفيه الصور . . وفيه الالتقاءات . . لكن من الذي يستطيع أن يجرد نفسه من ماديته لتفرق فيه روحانيته حتى يلتقي بمثل هؤلاء . . .

هذا ما فعله الله سبحانه وتعالى مع رسوله ﷺ . . العملية التي أكثر من النوم هذه . . انه جرده من بشريته . . فجعل الأشياء التي لم يرها وهو يقظ . . يراها وهو موجود . . ولذلك أخذ رسول الله ﷺ المرحلتين . . كان لا يرى رؤية إلا وجاءت كفلق الصبح . . إذاً . . إن مجرد خروج المادة من رسول الله ﷺ أنه يرى الرؤية ناصعة . . فما بالك إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أحدث في محمداً ﷺ تغييراً كما قلنا سابقاً . . فهل يرى أم لا يرى . . ؟؟ . . وبقانون أشف من قانون النوم . . أم غير أشف من قانون النوم . . ؟ . . أشف من قانون النوم . . وإذا كان ذلك هو القانون البرزخي . . فما بالك بقانون اتصال الروح بالجسم في الآخرة سيكون لها اتصال بنظام آخر . . .

إذاً . . يجب أن نلاحظ أن الروح اتصال بالجسم في حيز اليقظة . . وبعد ذلك للروح اتصال بالجسم في حالة النوم . . وقانونها أشف وأقوى من قانون اليقظة . . وللروح اتصال بالجسم في حالة البرزخ . . وللروح اتصال بالجسم بعد البعث . . وذلك هو الاتصال العلوي . . الاتصال النهائي . . ولذلك سنكون شيئاً آخراً نهائياً . . نأكل . . ولا تخرج منا فضلات . . ولا نشيب . . حياة أخرى . . إذاً . . يجب أن نلاحظ أن كل حالة في اتصال الروح بالجسم لها

قانونها .. قانونها مع اليقظة شيء .. ومع النوم شيءى .. بعد البعث شيء آخر ...

سؤال :

فضيلة الشيخ .. هل فيما قلت صلة .. وبين قول الله سبحانه وتعالى :

﴿فكشفنا عنك غطاءك .. فبصرك اليوم حديد[1] ..﴾ ..

جواب :

نعم .. حينما تخرج بشرية الانسان في ساعة الغرغرة .. حتى إذا بلغت الروح الحلقوم .. وانتم حين تنظرون .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ ... مجرد خروج بشريته ساعة الغرغرة فيرى الأشياء التي لم يرها ولم يكن يراها أبداً مع أنه لا يزال حي ولا زالت الروح فيه ...

سؤال :

فضيلة الشيخ .. نشكرك على كافة إجاباتك .. ولكن قبل أن ننهي اجتماعنا هذا .. لدي سؤال أخير أحب أن أطرحه .. وهو إمتداد لحدث الاسراء والمعراج على الأرض متمثلاً في موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه .. وما كان من أمر المجتمع من دهشته التي أشرنا إليها .. وتكذيب الناس لرسول الله ﷺ .. بل ربما ارتداد بعض ضعاف الايمان بينما كانت الصورة في موقف أبي بكر كما نعرف التصديق بالشكل الرائع الذى نعرفه كلنا .. ﴿لئن كان قال .. لقد صدق .. فوالله أني لاصدقه في أبعد من ذلك .. أصدقه في خبر السماء﴾ .. إن هذا القول يعطينا

---

١ ـ سورة ق ـ الآية ـ ٢٢ ..

صورة عن نوع الايمان من الصديق الصدوق . . نحب يا فضيلة الشيخ لو تفضلتم أن تقف هنا لتجيب على آخر سؤال أطرحه . . .

جواب :

هنا موضوع يجب على كل مؤمن أن يجعله قمة اعتقاده . . أولاً . . العقل حر في أن يُقبل على الايمان بالله سبحانه وتعالى أولا يقبل . . «لا إكراه في الدين» . . لماذا . . ؟ . . لأن المسألة . . إن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يكره انساناً على دينه . . لأنه لو أراد الله سبحانه وتعالى الاكراه على الدين . . لما قال : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . . إن نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين . .﴾[1] . .

وكما قلنا أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أعناقاً وقوالب . . الله سبحانه وتعالى يريد أرواحاً . . ويريد قلوباً . .

إذاً . . فلا إكراه في الدين . . بمعنى أن تدخل على الايمان بالله سبحانه وتعالى بحريتك فقد تدخل . . وقد لاتدخل . . لكن إذا دخلت بعقلك على الايمان بالله فالتزم[2] . .ومعنى الالتزام أن كل أمر يصدر لك من الله سبحانه وتعالى لا تناقشه بعقلك بعد ذلك . . ! . . قيل :

---

١ ـ سورة يونس ـ الآية ـ ٩٩ . . .

٢ ـ إن الانسان لا يمكن أن يمارس حرية العقيدة في الحياه بمعزل عن حرية الرأي والعقل . . فلا يكون له أن يجادل فيما لا يقتنع به . . ولا أن يسأل فيما لا يطمئن إليه . . وذلك على اساس مثالنا الاكبر في هذا كتاب الدين الحق . . القرآن الكريم . . ففيه نرى نتأكد أن القلب عليه أن يطمئن ولماذا . . كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أعوزته طمأنينة القلب في كيفية امكانية الله جل شأنه في أن يحيي الموتى وهي رميم . . فسأل ربه في هذا الشأن . . ومع ذلك لم يغضب الله جل جلاله على سيدنا إبراهيم عليه السلام . . وأيضاً لم يحرمه صفوة نبوته . . بل رد عليه رداً جميلاً . . قوله تعالى :

وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن بعد . . قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . . البقرة ـ الآية ـ ٢٦٠ . . .

لماذا . . ؟ . . قيل : لأن القمة وهي الايمان بالله سبحانه وتعالى نوقشت بالعقل . . وإن هناك إلهاً صفاته كذا . . وكذا . . وكذا . . فأنت الآن بعد أن أدركت حر في أن تدخل على هذه القمة كما تحب أولا تدخل . . لكن إذا ما دخلت واقتنعت عقلياً بأن هناك إلهاً وله صفات . . كذا . وكذا . . وكذا . . فالتزم . . ولذلك حينما يكلف الله عباده . . يقول : ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم ﴾[1] . . .

بمعنى : يامن آمنتم بي أنا أطلب منكم كذا وكذا وكذا . . لا يطلب بتكليف من لا يؤمن به . . لأن هذا الأخير لن يستمع لكلامه . . .

إذاً . . إن حيثية كل حكم تكليف هو الايمان بالمكلف . . فما دام عقلي اقتنع بأن هناك إلهاً . . فأقول له : يا عقل . . كل عملك في التكليف أن توثق التكليف إلى الله سبحانه وتعالى . . هل قال الله سبحانه وتعالى هذا أم لم يقله . . ؟ . . وبعد ما يثبت أن الله قال لا تطرح الموضوع على عقلك مرة ثانية . . وإلا ستكون قد راجعت ايمان القمة . . فأنت آمنت بأن هناك إلهاً . . ثم قال لك تكليفاً . . فتقول : هل قال الله ذلك أو لم يقله . . ؟ . . نقول له : إن الله قال : وكيف نوثق له أن الله قاله . . فما دام الله سبحانه وتعالى قاله . . فلا بد أن تأخذه . . .

إذاً . . هناك فرق بين أن تؤمن بالأمر . . فالايمان بالأمر يختلف فيه كل الناس . . المجوسي ـ الوثني ـ اليهودي ـ النصراني ـ وكنت مثلاً أقول : إنني قد أتى إلي شخص وقال لي : أذهب إلى الاسكندرية الآن لتقابل فلاناً . . فيكون ردي عليه . . إن صحتي لا تسمح لي ولا

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية ـ ١٧٨ و١٨٣ . . .

استطيع السفر . . فيقول لي : إن لم تذهب إليه اليوم فسيسافر غداً على الباخرة . . وقد تفوت المصلحة التي كلمتني بها . . عند ئذ أقرر أن أذهب إلى الاسكندرية . . فهل ذهابي إلى الاسكندرية كان اقتناعاً بأمر الآمر . . أم بالأمر في ذاته . . ؟ . . نعم كان بالأمر في ذاته . . لأن أمر الآمر لا مكان له . . .

ولكن . . لو أمرت شخصاً آخر بأن يسافر فوراً . . وقال لي : على العين ثم الرأس . . ونفذ طلبي وسافر فقضى الطلب بدون أن يناقشني في الأمر . . إذاً يتبين لنا . .

أن الأول آمن بالأمر واقتنع به عقلياً . .
والثاني : آمن بالآمر وان لم يقتنع به بالأمر العقلي . . .

وهنا في مسألة سيدنا أبو بكر رضي الله عنهـه . . لما حدثـوه بأن صاحبه يقول لهم كذا . . وكذا . . وكذا . . قال أول الأمر . . ﴿انتم تكذبو ن عليه﴾ . . فكان أبو بكر رضي الله عنه قبل الموضوع في ذاته . .

وبعد ذلك قال : هذا كذب وافتـراء . . فهـم أخذوهـا فرصـة وقالـوا له : ﴿و إذا كان يحدث بذلك﴾ . . فعلم أنه قال فقال : ﴿أن كان قال فقد صدق﴾ . . .

إذاً . . إن مناقشة أبي بكر رضي الله عنه ليست للأمر في ذاته . . وانما . . هل قاله رسول الله ﷺ . . أم لم يقله . . ! . . فما دام قاله فلا بد أن يكون صدق . . وقف فيه عقلي أم لم يقف . . تفتح له ذهني أم لم يتفتح . . اهتديت إلى حكمته أم لم أهتد . . ذلك هو مطلوب المؤمن في

أن يوثق الأمر في الصـدور عن الله سبحانـه وتعـالى .. أو عن رسـول الله ﷺ ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

اللهم آمين ...

والسلام .



محتويات الكتاب